كتاب
الدرّ المرصوف في تاريخ الشوف (تابع)
تأليف القس حنانيا المنيّر من الرهبانية الشويرية

مهّد له وعلّق حواشيه ونشره
الاب اغناطيوس مركيس ق ب
من الرهبانية الشويرية

الامير بشير والقبطان سميث ١٢١٣ (١٧٩٧)

ولنرجع الى ما كنا فيه من الحديث فنقول :[1]

انه في سنة الثلث عشرة التي كان فيها قدوم الفرنساوية ، غضب احمد باشا الجزار على الامير بشير وأراد ان يخلعه من الحكم ويولي مكانه اولاد الامير يوسف ، متهماً ايام انه يريد حضور الافرنج الى هذه البلاد . وانه كان يكاتبهم سرًا . الا انه لما بلغه حضور الافرنج الى مصر توقف عن تشويش آخر الى وقت آخر . واشتغل بالله بحرب الافرنج الى أن أتوا وحاصروا عكا ورجعوا عنها ، كما عرفت[1] ، وكان الوزير الاعظم قد انتهى يومئذ الى مدينة حلب مقبلاً لحرب الافرنج واخراجهم من الديار المصرية . فارسل اليه الامير بشير كتابًا لطيفاً يستعطف خاطره به وهدايا وتقادم فاخرة . ووجه بذلك رجلاً من اهل الشوف يقال له حسن ورد . فسار حتى وصل ، ودخل على الوزير ، فحاز منه القبول . وعرض له عن ظلم احمد باشا الجزار وغدره وتقلباته المنكرة . وسأله الرضى وانعطاف الخاطر على الامير بشير . فاجاب احسن جواب . واظهر

١) بعد اخبار سنة ١٢١١ (١٧٩٦) توقف المؤلف ليلخص حوادث الثورة الفرنسية وحملة نابوليون على مصر وعكا . ثم عاد هنا الى سياق حديثه . ولما كانت النبذة التي خصصها للحملة الفرنسية قليلة الارتباط بتاريخ البلاد فضلنا تركها الان على ان نعود الى نشرها على حدة في فرصة اخرى .

الرضى والقبول وعاد الرجل الى مولاه عزيزاً كريماً . ونهض الوزير بعد ذلك الى اراضي حمـاه . فارسل اليه الامير بشير الذخائر الوافرة والهدايا النفيسة . وتقدم من هناك الى دمشق الشام . فنزل بها . وارسل الى الامير بشير يطلب منه مئة غرارة من الحنطة والشعير . فارسل الامير بشير في الحال مباشرين الى البقاع . وجمع الاعلال المطلوبة وارسلها الى الوزير. فسر الوزير بذلك وارسل الى الامير بشير خلعة الولاية على جبـل الشوف ووادي التيم وبعلبك وبلاد المتاولة والبقاع وبلاد جبيل على ان تكون هذه المقاطعات مالكانات له لا تنزع منه ولا يكون للوزراء عليه تسلط . وارسل مع الخلعة مهردارا من قبله يستورد الاموال السلطانية ويوردها الى الوزير . ولما وصل المهردار استقبله الامير بشير بكل اجلال واكرام وانزله احسن منزل ولبس الخلعة وطابت نفسه من غائلة الجزار .

وفي تلك الايام ، قبضت الاسلام في بيروت على رجل من نصارى الشوف حاملاً خمراً للافرنج في عكا ، وارساوه في البحر الى عكا . وبينما كان في السفينة رأى مركباً من مراكب الانكليز بالقرب منه . فاشار اليه مستغيثاً به . فاخذته الانكليز الى مراكبها وكان في ذلك المركب القبطان سميث سر عسكر الانكليز . فسأله عن شأنه ومكانه : فاخبره عما جاء به . ومن اين جاء . ثم سأله عن حكم الجبل وحاكمه . فاثنى على الامير بشير واطنب في مديحه الى ما لا مزيد عليه . فاحب القبطان سميث ان يكون له معرفة وصداقة مع بشير . فاطلق الرجل واصحبه بكتاب الى الامير يستدعي صداقته ويعرض عليه قضاء ما له من حاجة . ولما وصل الكتاب الى الامير بشير بادر الى الجواب . وارسل معه هدايا فاخرة ووجه به حسن ورد الذي كان ارسله الى الصدر الاعظم . فاستقبله القبطان سميث بكل اكرام . ووعده ان يكون واسطة بينه وبين الوزير الاعظم . وضمن له كف مضرة الجزار عنه . وكان معه في المركب ابن اخته جريحاً . فارسله الى الامير بشير مع حسن ورد ليقيم اياماً هناك حتى يكون برأ جرحه . فسار به الرسول حتى ادخله على الامير. فاكرمه غاية الاكرام . وانزله احسن منزل . واحتفل بـه احتفالاً عظيماً . وقام كذلك اياماً حتى شفيت جراحه . ثم حضر خاله الى بيروت . فمضى اليه

وحدثه بما صنع الامير بشير معه من الصنيع والكرامة . وكان الامير بشير قد كتب الى القبطان يدعوه الى داره لتتم المعرفة بينهما بالمواجهة . وكان القبطان يرغب لقاء الامير . ولكنه اعتذر عن الوصول وطلب ان يكون اللقاء في الطريق بين بين . فنزل الامير الى عين عنوب في غرب البلاد الاعلى وارسل اليه نحو مئة جواد لركوبه باصحابه . وارسل معها امراء ومشايخ وجنود كثيرة . فحضر القبطان . واصحب معه من رجاله نحو مئتي نفر حتى قرب من عين عنوب . فامر الامير بشنك عظيم استقبالاً له . ولاقاه الى اطراف المكان . ودخل به في موكب حافل . وبالغ في اكرامه . وقدم له هدايا وتحفاً وخيلاً واسلحة . وكان القبطان قد اتاه ايضاً بهدايا نفيسة . وكان من جملتها مئة قفة من الارز . وكان يومئذ عزيز الوجود كثير الثمن حتى تساوي القفة منه مئة وعشرين غرشاً . ووعده ان يسترضي الجزار عنه . ويخرج له خلعة الولاية ويطلق له ابنه وابن اخيه من الترسيم . ويكون له مؤازراً كل الزمان في كل ما يحتاج اليه واقام عنده يومين . ورجع الى بيروت . ورجع الامير الى دير القمر .

وبعد ايام سافر القبطان حيث الى عكا . ودخل على الجزار . وحدثه بما كان له مع الامير بشير . وسأله الرضى عنه واطلاق من له عنده . وكان يرجو الاجابة لما سبق له من الجميل والاسعاف . فلم يجبه . فاغتاظ من رده اياه . وكتب الى الدولة يشكو بانه رجل ظالم غدار سيء الاخلاق وانه ربما يكون سبباً لنكث العهود بين الدولتين .

حركة المشايخ الهادية

وفي غضون ذلك عصت المشايخ الهادية على الامير بشير ونهضوا لمقاومته والتجأ اليهم المشايخ التلاحقة والملكية وبعض مشايخ وطوائف من البلاد . واجتمعوا في البارود ودعوا الامير سلمان ابن الامير علي شهاب يريدون ان يقلدوه الولاية . مكان الامير بشير . ولما علم الامير بشير بذلك انفذ الاعلام في البلاد الى جميع الرجال . واستدعى اخاه الامير حسن فحضر بعسكر من كسروان وبلاد جبيل . وعظم جمهور الامير بشير . وركب على بني الهاد .

ونفاهم من البلاد . وضبط املاكهم . وضايق عيالهم واتباعهم . وسعى في اثرهم اخوه الامير حسن والشيخ حسن جنبلاط . فلم يدركوهم . وبلغوا في فرارهم الى حاصبيا . وكان حاكمها الامير قاسم الشهاب . فخلعوه واقاموا مكانه الامير عثمان . وكان ذلك ضد خاطر احمد باشا الجزار وتوجه البعض من المشايخ العمادية الى عكا . واشتكوا الى الجزار على الامير بشير وشرحوا له عن ظلمه واسرافه . وانه متكل على حماية الوزير الاعظم . فلا يبالي ان غضب الجزار او رضي عنه .

وكان الوزير الاعظم يومئذ قد توجه نحو الديار المصرية لقتال الافرنج وكان الجزار يتوقع فرصة على الامير بشير . ولما رأى ان الفتنة قد وقعت في البلاد . وان خصوم الامير بشير قد تكاثرت . انعم على اولاد الامير يوسف الذين كانوا مقيمين عنده لمثل ذلك . والبسهم خلعة الولاية . وجهز لهم عسكرًا مقدار عشرة آلاف . وارسل الامير حسن والامير سعد الدين وابقى عنده اخاهما الامير سليم . وخرج معهما المشايخ النكدة الذين كان لهم سنة كاملة في جوزة الجزار ، والمشايخ العمادية . وجدّوا في المسير نحو دير القمر .

وكان لما بلغ الامير بشير قدومهم اراد ان يصدهم عن الدخول الى الدير . فمد الصوت في البلاد واستدعى اليه الناس . فلم يجبه احد . وانضم اكثرهم الى اعدائه ولم يستقم له الا نفر قليل من اصحابه واتباعه . فترك البلاد وتوجه الى حمانا احدى قرى المتن . وكان الامير بشير في ولايته تلك النوبة قد عدل وقنع ورحم الناس ، وترك الظلم السابق ، ولانت عريكته الى اجل ما يكون . ومع ذلك لم تنعطف اليه اهل البلاد ، كما كانت في ايام ظلمه . وكان مع الامير بشير في تلك الرحلة الشيخ بشير جنبلاط وقليل من الامراء الشهابيين . ولما وصل الى حمانا ، ارسلت اليه امراء المتن ان يرتحل عنهم ، بدعواهم أن أولاد الامير يوسف كتبوا اليهم أن لا يقبلوه عندهم . فقام من هناك وتوجه الى كسروان . ثم الى جبيل . ومن هناك الى صيدا ، ثم الى الهرمل ، ثم الى اراضي دمشق . ودخلت اولاد الامير يوسف الى البلاد . وتسلموا الولاية . وكان ذلك في اول تشرين الثاني .

ولما بلغ القبطان سميث ما كان للامير بشير كتب اليه يفتقد خاطره ،

ويذكر له انه سائر الى غزة حيث الوزير الاعظم ، ويخبره بذلك وانه لا بد من ان يرده الى الولاية باسم الوزير المشار اليه وانه ابقى له مركباً من مراكبه في بيروت لكي يستورد منه كل ما يحتاج ويستخدمه في ما يريد من المهمات .

الامير بشير في غزة

وكان الوزير الاعظم قبل انصرافه من دمشق اوصى عبدالله باشا العظم بملاحظة الامير بشير والقيام بما له من حاجة . فكتب عبدالله باشا كتاباً الى أهل البلاد يتضمن الوعد والوعيد والترغيب والترهيب الى أشد ما يكون . وأرسل الكتاب اليهم . فلم يحفلوا به . واصروا على مآربهم فيه من الخلاف. وأقام الامير بشير في نواحي دمشق . وانقطعت عنه الوسائل والرسائل . وضاقت عليه المذاهب الى حين . فوفد اليه ساعٍ من عند القبطان سيمث من طرابلس يستدعيه أن يحضر اليه في البحر الى غزة لمواجهة الوزير الاعظم. وهو قد أرسل له مركباً الى طرابلس ليسافر به الى هناك . فنهض من ساعته وانقلب على بلاد بعلبك ، وقدم له الامير جهجاه الحرفوش الذخائر والاكرام . ومن هناك الى بلاد عكار . فاكرمه علي بك الاسعد كذلك . وابقى ولده الامير خليل هناك . وانطلق الى طرابلس ونزل في البحر من هناك وسافر الى غزة وكان ذلك في اواسط شهر كانون الاول . وكان في البحر حينئذ هياج شديد فلقي منه اهوالاً واخطاراً عظيمة . الى أن أقبل بعد أيام الى العريش وهناك استقبله صديقه القبطان سيمث بالاعزاز والاكرام . وأتى به الى حضرة الوزير . فقابله أحسن مقابلة . وترحب به واكرم مثواه . وأقام عنده كذلك أربعة أيام . ووعده المواعيد الصالحة بعد انقضاء نوبة الفرنساوية . ثم استأذنه بالانصراف . ورجع الى المركب وسافر مع القبطان سيمث الى قبرس فاقام مقدار نصف شهر . وتوجه معه أيضاً الى نواحي مصر والاسكندرية . ثم ارتد راجعاً الى طرابلس . وأرسل فاستدعى اخاه الامير حسن . وساروا برجالهم نحو وادي راديد . وأقاموا في قلعة الحصن ينتظرون حوادث الايام .

مظالم اولاد الامير يوسف

واما اولاد الامير يوسف فالامير سعد الدين حضر الى دير القمر ، واقام هناك . والامير حسين توجه بالعسكر الى المتن . وارسل الحوالات في طلب الذخائر ومصاريف العسكر . وكان طلباً فاحشاً . فندمت اهالي المتن على رفع الامير بشير من عندهم . ودارت بينهم الوساوس . ثم تحول الامير حسين الى بسكنتا ومر في كسروان وانتهى الى غزير . وكان عسكر الدولة الذي معه ينهب القرى التي يمر بها نهباً فظيعاً . كأن اهلها اعداء لاولاد الامير يوسف . وقيل ان كسروان من عهد بني سيف لم تنكب نكبة مثل هذه . وقد حسب بعض الناس ما نهبه العسكر من غزير فقط بالتقريب . فكان يزيد عن الفين وخمسمئة الف غرش من دراهم وحلي واسباب وامتعة واسلحة ومختلفات شتى . وقس عليها غيرها .

ثم توجه الامير حسين الى جبيل . وتقدم الى طرابلس . وطلب خلعة حكم جبيل من والي طرابلس . فاجابه انه لا يقدر على ذلك الا بامر الوزير الاعظم ، لانه انعم بها على الامير بشير . فانكفأ راجعاً الى جبيل . وملكها قهراً . ووزع الاموال السلطانية على بلادها . واقام مباشرين على جبايتها ، ونهض الى بيروت . ثم الى دير القمر . وتوجه الامير سعد الدين من الدير الى جبيل ، واقام بها . وصار جبل الشوف وبلاد جبيل في تصريف اولاد الامير يوسف . وكان عمدة الامير حسين جرجس باز . وعمدة الامير سعد الدين اخوه عبد الاحد . وكان الاسم في الولاية للاميرين . واما الامر والنهي وجميع المتعلقات الخارجة والداخلة فكانت لجرجس باز . حتى ان خاتم كل واحد منهما كان معه . فيكتب الاوامر من نفسه كما يشاء باسمها . ويختمها بختمه ، وهما لا يعلمان شيئاً من ذلك .

وكان من رجال دولة اولاد الامير يوسف وشركاء الرأي على ارتباه يوسف اغا الترك . ويوسف الخوري الشلفون وفارس الشدياق . وبعد رجوع الامير حسين الى دير القمر شرع في طلب الاموال من البلاد . فوزع المال السلطاني مضاعفاً . وكان الامير بشير قد جمعه عن تلك السنة عينها مضاعفاً ايضاً . ثم

فرض مطلوباً على كل مكان قدرًا معلوماً بحسب كثرة اهله . وقلتهم . ثم اختص اشخاصاً معلومين من الاغنياء بطالب معلومة . وفاق بظلمه على ظلم الامير بشير السابق . وضجت الناس من ذلك . ونفد ما في ايديهم من المال . وكان مطلوب الجزار من اولا الامير يوسف كل شهر خمسة وثلاثين الف غرش . فكانوا يجمعون اضعاف الاضعاف ولا يكتفون . فاجتمع البعض من عقال البلاد وعقلائها وتداولوا في ذلك وفرضوا على كل رجل في كل شهر غرشاً واحدًا وبزوا المجموع فرأوه يزيد عن مطلوب الجزار . وعرضوا رأيهم هذا على جرجس باز . وسألوه الاقتصار على ذلك . فتظاهر كأنه قد قبله وارتضى به . واخذ ينص المطلوب على كل مكان بمفرده . وجعل على كل رجل غرشين ونصف . وجمع المطلوب من بعض قرى الشوف والغرب والمتن وكسروان . وفي اثنا. ذلك عثر على تشويش في البلاد . ولمح انه سوف تبدو حركة عليه. فطلب عسكرًا من الجزار ووضعه في البقاع واقام له نفقات واسعة . وتمادى في الطلب وزاد . وقويت شوكته بامداد العسكر المذكور . واشتد ضيق الناس . وقل احتمالهم . فعولوا على العصاوة والمقاومة .

وفي هذه السنة حدثت فتنة بين المشايخ بني العماد والامرا. بني اللمع. وكان السبب في ذلك وقوع الفتنة بين المشايخ العمادية والامير بشير . فقاموا الى البقاع . وامسكوا الطرق على الامداد الذي يأتي الى الافرنج. وقدموا السعاية الى احمد باشا الجزار بان الامير بشير يريد امتلاك الافرنج في بلاد الاسلام وانه لا يعترف في تقدمة الذخائر لهم ولاسعاف من يندب اليه . وانهم قد خرجوا من البلاد لانهم خالفوه في ذلك . وامسكوا الطرق على كل من يأتي بامداد الى الافرنج .

فتنة المتن

وفي تلك الايام مرت بهم قافلة تحمل خمرًا الى الافرنج . فقبضوا على اربابها وضبطوا خمرهم وبغالهم . وكانت القافلة من اهالي قاطع المتن . ولما بلغ ذلك افراد المتن غضبوا وراسلوا المشايخ باطلاقها . فلم يفعلوا . فارسلوا نهبوا القرى التي لهم في البقاع . واشتدت الفتنة بينهم . واشتعلت نار العداوة حتى كاد ان يتبلبل اهل البلاد بسببهم . ويفضي الامر الى حروب وغزوات لان

احزاب الفريقين تحركت وطلبت الانتصار لفريقها . ولما اشتد الامر توسط ذلك بعض الامراء الشهابيين والمشايخ التلاحقة وفصلوا بينهم .

وفي هذه السنة كانت عين الشويفات قليلة الماء . وكان في القرية المذكورة غنم كثيرة يأتون بها الى العين فيغسلونها . وكان كلما اجتمع في حاصل العين شيء من الماء ينزحونه على الغنم ويضيق الشرب على الناس . وكان يحدث لذلك في جهات كثيرة . فاشاع الامير عباس رسلان ان الوزير الاعظم طالب من الامير بشير الفي رأس غنم وان الامير بشير امر بجمع غنم البلاد وارسالها الى الوزير الاعظم . وقال ان رجلاً انذره بذلك . وهو يريد ان يذبح الغنم التي له وامر بذبحها . فلم يبق خروف واحد في الشويفات وذلك اليوم امتد الخبر الى الغرب جميعه فذبحوا غنمهم عن آخرها . وبلغ الخبر في يومين الى اقصى حدود البلاد . ففعلوا كذلك . ولذلك ارتفع سعر اللحم . فكان يباع باكثر من غرشين ونصف بعد ما كان يباع باقل من غرش واحد .

الجراد

وفي سنة ١٢١٤ (١٧٩٩) اقبل جراد من الجهة الشمالية . وكان كثيراً جداً جداً . حتى قالت الشيوخ انه لم يكن مثله في زمانهم . وكان من حدود البحر الى اقصى الجرد ، مارًا مرورًا متصلاً خمسة ايام متوالية . وفي بعض الاماكن كان يحجب الشمس عن الابصار . الا انه لم يضرّ على قدر كثرته لان طائر السرمر كان في اثره . وكان كثيرًا ايضاً فافناه .

وقد ذكرنا ان جرجس باز كان قد تسلم زمام الولاية . فظلم وجار . وضاقت به صدور الناس . فاجتمعت وجوه الطوائف من المتن . واتفقوا على العصاوة وكاتبوا اهل الشوف والغرب وقاموا على الحوالات الذين في المتن فطردوهم . وكان ذلك بغير اذن امراء المتن . فعزم جرجس باز على نكبة المتن . وعول على احضار العسكر الذي في البقاع الى هناك . وارسل فاستدعى بعض امراء المتن متوهماً ان هذه الحركة كانت بموافقتهم . فحضروا وقرروا له ان ذلك بغير اذنهم ولا رضاهم . وانهم لم يقدروا على صدهم عن هذه الحركة . ولكي يقنعوه بذلك عهدوا اليه ان يرفعوا انفسهم من المتن . ولما

رجعوا الى المتن قاموا باهلهم الى القاطع واقاموا هناك جميعهم . وبلغ اهل المتن ان العسكر الذي في البقاع سيأتي اليهم فتداعوا وتأهبوا واتاهم الاسعاف من الغرب والشوف . واجتمعوا عسكرًا عظيماً في حمانا وبلغ عسكر الدولة اجتماعهم فخشي . ولم يجسر على غزوهم . فقام من البقاع ورجع الى عكا . وارتبك جرجس باز في ذلك الامر . وانكسرت عزائمه . ثم اجمع الجمهور ان يستدعوا الامير بشير اليهم . وكان مقيماً في قلعة الحصن . فارسلوا اليه يطلبونه الى الحضور فلم يحضر لعدم الوثيقة بهم . واشترط عليهم شروطاً فقبلوها وكتبوا على انفسهم عهودًا ومواثيق واقساماً . ومضى اليه من اكابرهم نحو مئة خيال . ومعهم رجال كثيرة . وقدموا له تلك الصكوك وسألوه القبول وتعهدوا له بكل ما يرضيه . فنهض معهم وسار الى حمانا . فالتقاه الجمهور برهج عظيم . ودخلوا به الى المكان . واضطرت امراء المتن الى الحضور والتسليم فحضروا . ودعي ذلك العام سنة العامة .

عودة الامير بشير

وتوجه الامير بشير الى دير القمر ومعه افراد المتن وجمهور العامة . وكان في الدير مقدار الف نفر من عساكر الارناؤط عند الامير حسن وجرجس باز . فلما علموا بقدومه رحلوا جميعاً الى نواحي بيروت . ومن هناك انطلق جرجس باز الى عكا واخبر احمد باشا الجزار بما كان وطلب منه عسكرًا لغزو البلاد . فجهز له ستة آلاف ونهض بهم الى ارض بيروت . وشرع في قصاص اهل الجبل باملاكهم التي هناك . وكان العسكر يركب كل يوم . ويحرق وينهب من تلك الاطراف . فاتلف شيئاً كثيرًا لاهل الجبل . واضطروا الى الرحيل من سواحل البحر . وانقطعت الطرق . وفي اليوم السابع عشر من شهر تشرين سار العسكر نحو الشويفات . وكان فيها الامير حسن . اخو الامير بشير ، ومعه عسكر من اهل البلاد . فهجم عسكر الدولة على المكان . ونهض اليه الامير حسن بعسكره واهل الشويفات . وصدموه صدمة منكرة . وثارت الحرب بينهم مقدار ثلاث ساعات . فلم يلبث لهم عسكر الدولة . وانهزم من اوجههم بعد ما قتل منه نحو ستين نفرًا . وعطف على قرية بعبدا . وكان الامير

بشير في تلك الجهة برجال قلائل . فادركتهم الخيل . وانتشب بينهم القتال. فاستظهر عسكر الدولة . وقتل من عسكر الامير بشير مقدار سبعين نفرًا . وهرب من سلم منهم في تلك القفار . ونجا الامير بنفسه بعد خطر عظيم . وعادت الدولة فغنمت اسلاب القتلى وخيلهم وسلاحهم . وانصرفوا الى منزلتهم وتقدم الامير بشير الى العبادية واجتمع اليه عسكر المتن . وبعد يومين هلع عسكر الدولة نحو المتن حتى قرب من قرية عاريا . وهي اول قرى المتن . فبادر الامير بشير الى ملتقاه . وثار القتال بينهم . فانكسر عسكر البلاد وساقته الدولة في أثاره حتى وصلت الى عاريا فاحرقتها بالنار . ورأت اهالي المتن والغرب الدخان . فاقبلوا من كل جانب . وجاءت رجال المتن على طريق الجزيرة . ورجال الغرب على طريق الكحالة ومعهم الشيخ بشير جنبلاط . وانثنى الامير بشير برجاله لما رأى النجدة قد اقبلت. ورأى عسكر الدولة ان الرجال مقبلة عليه من جميع الجهات . فغلبت عليه المخافة . وكر راجعاً في طريقه . ولم يقتل في ذلك اليوم سوى مقدار عشرين نفرًا من الفريقين. وقتل ايضاً الشيخ جهجاه العماد . وكان من اعقل الناس واشجعهم . وقيل انه كان خائفاً على البلاد ودعي هذا العام سنة شر القفل . لان الموقعة كانت في سهل القفل بالقرب من عاريا . ودام الامر كذلك بين اهل البلاد والدولة مقدار شهر . والدولة في اراضي بيروت . ورجال البلاد محافظة في الشويفات وبيت مري والامير بشير في العبادية . والغارات تتردد احياناً بين الفريقين ، ولا يقدر احدهم ان ينتصف من الاخر . ورأى جرجس باز انه لا يستطيع اخذ البلاد بالغلبة ، وان اكثر الذين من حزبه تغيرت قلوبهم ، وان الشيخ جهجاه العماد قتل ، وقد كان ركناً عظيماً له ، وانه لا يمكنه التمادي على نفقات العساكر. فراسل الامير بشير وبعض مناصب البلاد الذين يوثق بهم في امر الصلح والسلامة . وكان المباشر في هذه الرسالة يوسف آغا الترك . فاجابوه الى ذلك. وطلب منهم كتاباً معروضاً على الوزير فكتبوا له وكتب جرجس باز الى احمد باشا الجزار . وتلطف في الحيلة . فانعم بالقبول وارسل طلب العسكر ان يحضر اليه ولا يبقى منه عند الامير حسين سوى ثلاثمئة نفر لا غير . وكان كذلك . وانصرفت العساكر الى عكا . وكان لها جانب كبير من الاقامات

والملايف عند جرجس باز . فكتب لهم صكوكاً بمالهم عليه وارضاهم بها . وفي اليوم الذي سافرت فيه عساكر الدولة ، قام جرجس باز بالامير حسين واتباعه وتوجهوا نحو الشويفات . وبادرت الامراء والمشايخ الى ملتقاهم. وكان الجمهور لا يعلم ذلك والظن ان المسير للقتال . فلما قربوا من الشويفات ضجت اصوات البارود . فظنت الثلاثمئة نفراً من الدولة الباقين عند الامير حسين ان القتال قد وقع بين القوم . ورأوا جمهوراً عظيماً . فخافوا وانصرفوا يتبعون اصحابهم الى عكا . والتقى جرجس باز بالامير بشير . وحصلت الموافقة والالفة بينهما . وتوجهوا جميعاً الى دير القمر . وارسلوا الى احمد باشا الجزار يطلبون خلعة الولاية للامير بشير بقولهم انه اوفق للولاية ، وان اهل البلاد لا يريدون غيره . فظهر للجزار ان ذلك مكر منهم . فغضب ولم يجبهم. ولكنه لعلمه باتفاق اهل البلاد ذلك الوقت لم يقدر ان يتعرض بشيء . فامسك الى حين الفرصة . وكان عنده ثلاثة امراء من بني الشهاب بمنزلة الرهن . وهم الامير سليم ابن الامير يوسف : والامير قاسم ابن الامير بشير : والامير ابرهيم ابن الامير حسن . فلم يسألوا في خلافهم : ولم يلتفتوا الى غضب الجزار . واتفقوا جميعاً برأي واحد على ان يكون الامير بشير حاكماً في دير القمر واولاد الامير يوسف في بلاد جبيل حكاماً بانفسهم . وتعاهدوا على ذلك ، وتحالفوا . واستدعوا مشايخ البلاد وطوائفها الذين كانوا قبلاً متنافرين . فوافقوا بينهم واصلحوهم وتركوا لبعضهم الاحقاد القديمة والدماء والثارات . واستوت الالفة بين الجميع .

احصاء الامراء والمشايخ

وفي هذا العهد احصينا الامراء والمشايخ والطوائف الموجودين في البلاد . فكانوا على ما سنصف . وكانت الامراء مقدار ثمين اميراً من بني الشهاب وبني ابي اللمع ، وبني رسلان اما بنو الشهاب فهم الامير بشير الحاكم حالاً وقد تولى الحكم مرتين وهذه المرة . واولاده الامير قاسم باسم جبيل ، والامير خليل . والامير امين . ثم اولاد الامير يوسف المتوفى : وهم الامير حسن والامير سعد الدين والامير سليم . وقد تولوا الحكم مرتين . ثم اولاد الامير

منصور المتوفى . وهم الامير موسى والامير حمود وابن الامير منصور باسم جده والامير حيدر . ثم الامير علي ابن الامير حيدر الاول واولاده الامير درويش والامير سلمان والامير حسن وابنه الامير فاعور واخوه الامير مراد ثم الامير قاسم ابن الامير ملحم المتوفى . ووالده الامير بشير والامير كنج . ثم الامير حيدر ابن الامير ملحم ايضاً وابنه الامير ملحم باسم جده . ثم الامير سلمان ابن الامير سيد احمد المتوفى واخوه الامير فارس ثم الامير حيدر ابن الامير احمد المتوفى وابنه الامير يوسف ثم الامير قعدان ابن الامير احمد المتوفى وابناه الامير حسن والامير فاعور . ثم الامير جهجاه ابن الامير حسين المتوفى . ثم الامير اسعد ابن الامير يونس المتوفى وابناه الامير عباس والامير حسن. فتكون الجملة سبعة وثلاثين اميرًا. وكلهم نسل الامير حيدر واولاده واولاد اولاده .

واما بنو ابي اللمع فهم ثلاث فرق : بنو مراد : وبنو قايد بيه : وبنو فارس . فبنو مراد في المتين: الامير نصر وولداه الامير سلمان والامير موسى. واخوه الامير منصور . واولاده الامير محمد والامير حيدر والامير قاسم. — وفي قرنايل الامير حسين وابنه الامير بشير وابنه الامير علي : — وفي فالوغا الامير مراد ابن الامير شديد المتوفى . وهو وجه قومه . وابنه الامير شديد . فالجملة اثنى عشر اميرًا .— وبنو قايد بيه في برمانا الامير بشير واولاده الامير منصور والامير احمد والامير نجم.— وفي صليما الامير فارس ابن الامير سليمان المتوفى. ثم اولاد اسماعيل المتوفى الامير حسن والامير عساف والامير حيدر . — وعلى موجب فراستي به انه يكون وجه بني قايد بيه ورأسها .— وفي الراس الامير عباس وابنه الامير فارس .— وفي الشبانية الامير سلمان وابنه الامير قاسم وابناه الامير محمد والامير مصطفى . فالجملة اربعة عشر اميرًا .— وبنو فارس في بسكنتا : الامير عبدالله وابناه الامير حيدر والامير كنج . ثم الامير ابو اللمع واولاده : الامير بشير والامير يوسف والامير اسعد والامير سعد الدين والامير حسن . ثم اولاد الامير عثمان المتوفى الامير درويش والامير فاعور والامير علي ثم الامير عباس وولداه الامير قاسم والامير حسن . ثم الامير طرودي . وهو وجه قومه . الجملة ستة عشر اميرًا فتكون جملة بني ابي اللمع اثنين واربعين اميرًا .

واما بنو رسلان في الغرب فهم الامير يونس وابنه الامير حسن . ثم اخوه الامير عباس واولاده الامير منصور والامير حيدر والامير احمد ثم الامير بشير ابن الامير احمد المتوفى ثم الامير يوسف ابن الامير فندي المتوفى . — وهو الذي بنى دار بشامون الغرب بقطعة من الجبل . وذلك انه علقها في شجرة هنـاك ونادى في الغرب ان من لا يقبل العمل في البناء علقه في ذلك الجبل . فاقبلوا يعملون مجاناً الى ان تم البناء، فانزل الجبل ودفعه الى خادم له ليملأ به الماء. — ثم الامير قاسم ابن الامير علي المتوفى . — الجملة تسعة امراء .

فيكون مجموع الامراء في هذه البلاد ثمانية وثمانين اميراً من الثلاث طوائف.

واما المشايخ الذين عليهم الاعتماد في العزل والتولية ، فهم المشايخ بنو جنبلاط والمشايخ بنو العماد . واليهم تنتسب بقية المشايخ . فيقال لمن هو من غرض بني جنبلاط جنبلاطي . ولمن هو من غرض بني العماد يزبكي ، نسبة الى جدهم الشيخ يزبك . ومقام بني جنبلاط في الشوف الجيطي وكبيرهم الآن الشيخ بشير ابن الشيخ قاسم . ومقام بني العماد في العرقوب . وكبيرهم الآن الشيخ علي . وبعد هؤلاء ، المشايخ بنو ابي نكد ومقامهم في شوف المناصف ودير القمر . ورجالهم اشد رجال البلاد واجرأهـا . ثم المشايخ بنو تلحوق ومقامهم في الغرب الاعـلى . ثم المشايخ بنو عبد الملك ومقامهم في الجرد . وهؤلاء لهم يد في العزل والتولية بعد اولئك وتبقا لهم . وبعد هؤلاء المشايخ بنو العيد في عين زحلتا والمشايخ بنو عطا الله وبنو العقيلي في عين دارة . وبنو ابي علوان في الفريديس . وبنو ابي هرموش في السقانية . وبنو حسن الدين في المختارة . وبنو حمزة في خربة الشوف . وبنو حمدان في باتر . وبنو امان الدين في عبيه . وبنو زينيه في البادية . وبنو الشنيف في عين وزين . وهؤلاء ليس لهم يد في شيء من ذلك . ولا في ايديهم مقاطعات ورجال مثل اولئك.

ومن النصارى ثلاث طوائف ايضاً . وهم بنو الخـازن وبنو حبيش في كسروان وبنو الخوري صالح في رشميا . وهم اقارب الشيخ سعد الخوري الذي كان عند الامير يوسف . والآن لا يد لهم جميعهم في مقاطعة ولا عمل . واما قبل الآن فقد كانت مقاطعة كسروان في يد بني الخازن يتولون عليها ويحكمون على اهلها مثل بقية اصحاب المقاطعات .

واما الطوائف المشهورة التي هي دون المشايخ المذكورين فهم مقدار خمسين طائفة . وهم في الشوف بنو عبد الصمد ، وبنو ابي شقرا ، وبنو ملاك ، وبنو جوديه ، في قرية عين ماطور . وبنو وركين ، وبنو عقيق ، وبنو خميس ، وبنو القضبان ، وبنو ابي حسن علي . وطائفة من النصارى يقال لها الصليبية في نيحا وبنو حماده وبنو عامر في بعقلين وبنو البعيني وبنو ذبيان في مزرعة الشوف وبنو غرز الدين في بعورته وفي الجرد بنو احمد وبنو الصائغ في شارون. وفي الشحار والغرب بنو المرود في عبيه والشويفات . وفي المتن بنو حاطوم وبنو المغربي في كفرسلوان ، وهم اعداء بعضهم لبعض . وبنو الاعور وبنو هلال في قرنايل وفالوغا. وبنو ابي الحسن في بتخنيه . وبنو صالحه وبنو مكارم في رأس المتن . وهناك ايضاً طائفتان من النصارى . وهما بنو فريحه وبنو ابي سعد . وفي القرية بنو بكداش وبنو طربيه. وفي بعل شميه بنو ابي فراج وبنو الدنف . وفي بيت مري والعبادية بنو رشيد وبنو النجار . وفي برمانا بنو منذر وبنو علوان ، وهم اعداء بعضهم لبعض. وفي صليما بنو سعيد وبنو المصري. وطائفتان من النصارى وهما بنو الناكوزي وبنو المشلاني . وفي بزبدين بنو مضاد وبنو سريّ الدين وفي المتين بنو القنطار وبنو حسان وبنو بلوط وبنو مرداس . وفي ذرعون بنو ضو وبنو زيد . وفي كسروان بنو الحداد وبنو ابي حيدر وبنو الكعدي وبنو التوري وبنو عبده في بسكنتا نصارى . وبنو المعارف في كفرعقاب وكفرتيه نصارى ايضاً . وهي كثيرة العدد. وبنا تبلغ مئة رجل . فجملة هذه الطوائف اثنتان وخمسون طائفة . منها احدى عشرة طائفة نصارى والباقي دروز . وهم اشد بأساً من تلك الطوائف واكثر عدداً ولهم احزاب تنتمي اليهم وتعادي معهم وتحمل الدما. كما يحملونها. ولا فرق بينهم في ذلك بين درزي ونصراني. ولهم هيبة في البلاد عند الحاكم والمناصب .

غضب الجزار

وفي سنة ١٢١٥ (١٨٠٠) كان الجزار لا يزال غضبان على الامير بشير وجرجس باز لما مر في اعمال العام الماضي . فامر ان لا يخرج شيء من القوت من بيروت ولا من صيدا . يريد ان يضايق اهل الجبل . فتضايقت الناس من

ذلك . لا سيما اهل سواحل البحر . فارتفعت الاسعار . وشكت الناس من الجوع . واتفق في تلك الايام انه ورد خزنوب كثير من قبرس . وكان يباع القنطار بعشرة غروش واقل. فكانت الناس تقتات به الى ان اتى الله بالفرج .

وغضب الطبيعة

وفي هذه السنة حدث ما لم يتفق حدوثه منذ اجيال كثيرة . وذلك انه في خمسة عشر يوماً من شهر ايار في حساب الروم صار برق ورعد هائل كاعظم ما يكون في ايام الشتاء . ووقع برد كثير وكان شاملاً في كل مكان من هذه الاطراف وكان عظيماً لم ينظر مثله في هـذا العصر حتى ان وزن البردة كان ينوف عن اوقية ونصف في بعض الاماكن . واعتقب ذلك مطر غزير وسيل يفوق الوصف . ففاضت الانهار وطفحت الاودية . فهدمت طواحين كثيرة . واتلفت غراساً واراضي شتى. وكان البرد اكثر ضرراً من السيل لانه اتلف كثيراً من الكروم والغراس فبست كأنها احرقت بالنار .

طلوس يارد

وقد ذكرنا في اعمال السنة الحادية عشرة عن اتفاق الامراء والمشايخ على بني ابي نكد ، وكيف قتلوا اكابرهم وضبطوا املاكهم . ففي هذه السنة وقع الصلح بين الجميع وطلبت المشايخ النكدية رجوع المضبوط لهم . فرفعت الامراء والمشايخ الجبلاطية ايديهم عما كانوا قد اخذوه واما المشايخ العمادية فانكروه. وقالوا صارت هذه الاملاك من جملة املاكنا وفي تصريفنا فلا يمكن ان نردهـا . وتواسط ذلك عندهم بعض الامراء والمشايخ فلم يقبلوا سؤال احد . فالتجأ الشيخ سلمان نكد الى الامير قمدان والامير سلمان سيد احمد . وطلب منهما الاسعاف على استخلاص هذه الاملاك من بني عماد . ووعدهما ان يسعى لهما عند الوزير ومناصب البلاد بتفويض الولاية اليهما . وتعهد لهما بذلك. فتعهدا له بحاجته . واخذا يكاتبان ويراسلان الامراء والمشايخ . فمال كثير منهم اليهما واشتهرت الحركة في البلاد وظهرت الاغراض. وبلغ ذلك المشايخ بني العماد فاخذوا يسعون في ابطال ذلك . ويفتدون الناس وارتاب الامير بشير

من ذلك الهياج . وبذل الجهد في تسكين هذه الحركة . فلم يستطع . ونزل الشيخ سلمان نكد الى عكا . وكتب الامير قعدان والامير سلمان الى احمد باشا الجزار . وتعهدا له بمال كثير . وكان الرسول في ذلك رجلاً من بني يارد من بيروت . يقال له طنوس ابن الحاج يارد . فلما دخل على الجزار بذلك الكتاب . نفر وامر بحبسه وطلب منه اربعين الف غرش واقام عليه العذاب. وكان لا يملك اربعين غرشاً لكنه من شدة العذاب تعهد له بايراد المال وسأله ان يطلقه الى بيروت ليسعى في تحصيله . فاطلقه وارسل معه من يحفظه من الهرب . فاقام في بيروت مقدار شهر تحت العذاب ايضاً ولم يقدر على تحصيل شيء . وتقدمت به كتابات الى الجزار من اعيان المسلمين في بيروت بانه رجل فقير لا يملك شيئاً من المال ولا يعطيه احد شيئاً لعجزه عن الوفاء . وكان قد مرض من الحبس والعذاب . واصابته جراح من الضرب . فاخذه الجزار الى عكا . وداوى جراحه الى ان شفي . ثم اعاده الى بيروت . وكتب الى المتسلم ان يأخذ منه خمسة آلاف غرش فقط ويطلقه[1] فسعت اقاربه واصدقاؤه في ذلك . وجمعوا له المطلوب واعتقوه .

اما الشيخ سلمان نكد فلما وصل الى عكا وعلم بما جرى على طنوس يارد بادر الى الرجوع على اعقابه . وسكنت الحركة في البلاد .

موقعة حمانا

وكانت المشايخ العمادية في ذلك الوقت لها صداقة مع الامير قاسم حاكم حاصبيا . وكان الامير قاسم له دالة وقبول على الجزار . وكانوا قد استغاثوا بالامير قاسم وهم يريدون ان يولوا الامير عباس ابن الامير اسعد. واموالوا اليهم بعض مناصب البلاد . فكتب الامير قاسم الى الجزار . فملك الجزار خاطر

---

(١) في كتاب « تاريخ الرهبنة » يزيد المؤلف ما يلي :

« واذ لم يوجد من يدفع عنه وشى بعض العوانية للمتسلم ان يقبض على رئيس الانطوش قائلين انه ربة (كذا) دينه فقبض على المذكور اسطفان ووضعه في السجن. فالتزم الرئيس العام (للرهبانية الشويرية) ان يدفع الف وخمسمئة غرش اسماقاً ليت يارد . قد استقرضوا باسم يدفعوها . وهم دبروا باقي المبلغ واطلقوا طنوس المذكور وانطلق الى بيته » .

(راجع تاريخ احمد باشا الجزار ص ٤٨٩) .

الامير قاسم واخرق بالامير قعدان والامير سلمان. وفعل ما فعل برسولها. وثارت حركة بني العماد في البلاد . واشتدت المنازعة . وكان البعض من غرض المشايخ العمادية للامير عباس : والبعض من غرض المشايخ النكدية الامير قعدان والامير سلمان : والبعض من غرض العامة للامير بشير . وعظم الخلاف على ذلك . واشتد النزاع بين هذه العصائب . فنزل الامير عباس الى عكا بكتاب من الامير قاسم . ومعه البعض من المشايخ العمادية . فقبله الوزير . وانعم عليه . والبسه خلعة الولاية . وجهز له عسكرا وانفذه الى البلاد . ولما علمت اضداده بقدومه . تأهبوا للرحيل فوزعوا امتعتهم واسبابهم ، وتركوا اوطانهم وانهزموا نحو طرابلس . وانتقل الامير بشير الى المتن . ودخل الامير عباس الى البلاد . وبلغه ان الامير قعدان والامير سلمان والمشايخ الجنبلاطية والنكدية قد نزحوا من البلاد . فارسل العسكر باثرهم . وانفذ الى الامير بشير يطلبه ويأذن له بالمكث في مكانه . ونزل الامير عباس الى حرش بيروت . وحضر اليه بعض الامراء بني عمه . وكان بشير برأي المشايخ بني العماد كيفما ارادوا . وارتجت البلاد من قدومه . وتعوذوا بالله من لوائح عزمه . لانه قبل ان يستقر قراره في البلاد ، وقاتي الناس تهنئه حسب العادة ، وقبل ان يرجع عسكره من طراد اضداده ، وزع الحوالات في جميع البلاد بطلب المال السلطاني ، واردفه بطلوب آخر على طريق لم يسبق اليها غيره . لانه كان يطلب على غير القياس ، كمن قصده خراب البلاد والانتقام من الناس . ولكن لم يسمح الله باطالة حكمه . لان مناصب البلاد والرعايا ومشايخ العقل وارباب الكلام ، لما رأوا ذلك ، كاتبوا بعضهم بعضاً وتراسلوا واجمع رأيهم على ان ينهضوا البلاد ضده ويطردوه من بينهم . وارسلوا الاعلام الى رؤساء الطوائف ووجوه الرعايا في جميع البلاد ان يطردوا حوالات الامير عباس ولا يقبلوهم . وارسلوا فاعلموا الامير قعدان والامير سلمان بهذا الاتفاق . وطلبوهما ان يرجعا الى البلاد مع المشايخ الذين معها . فنهضوا جميعاً ورجعوا. وكان الامير عباس لم يزل في حرش بيروت ولم يزل عسكره في نواحي طرابلس . فارسلوا وامسكوا طرق شواطىء البحر على العسكر الكيلا يرجع اليه . فتفذ العسكر من معاملة طرابلس الى اراضي البقاع على طريق الجبل . وسار الامير عباس ايضاً الى

هناك ، واجتمع بعسكره ، وارسل الى الامير قاسم في حاصبيا يعلمه بما كان ويستشيره في امره . واخيرًا اجمع الرأي على الركوب على الجبل واخذه قهرًا واقتدارًا . وامدهم الامير قاسم برجال من وادي التيم. وعولوا على غزو الجبل. وبلغ الامير بشير ذلك ، فنادى باجتماع الرجال الى حمانا . فاجتمع اليه نحو ثلاثة آلاف رجل ومعهم جماعة من الامراء والمشايخ .

وفي يوم الاثنين الواقع في تاسع شهر ايلول، سار عسكر الدولة مع الامير عباس والمشايخ بني العماد ومعهم عسكر وادي التيم يطلبون حمانا . وانتهوا الى خان مراد . وكانوا لما قاموا من معسكرهم اتت الارصاد فاخبرت الامير بشير بقيامهم . فسد الصوت حالًا في البلاد وركب بمن عنده من الامراء والمشايخ والرعايا . وساروا الى لقا العسكر . وثار بينهم القتال ، واشتد الامر الى اعظم ما يكون . وجاهد عسكر الامير عباس اشد الجهاد ، وكان عسكرًا عظيماً من الدالاتية والهوارة والارناؤط والمغاربة واهل وادي التيم ورجال المشايخ بني العماد . واخذت الناس تتقاطر الى الامير بشير من رجال المتن . ورأت الدولة ان عسكر الامير بشير لا يزال في مزيد لقربه من البلاد. وخافوا من تكاثر الرجال عليهم ايضاً. فجردوا سيوفهم وحملوا على القوم حملة منكرة فكاد ينكسر عسكر البلاد. ولما رأى الامير بشير ذلك ، جرد سيفه وهجم قدام العسكر . وصاح بمن حوله من الرجال ، وتلاه الشيخ بشير جنبلاط برجال الشوف . وكذلك جرجس باز وبقية المناصب . فتشجع العسكر وتصلب . وصدم عسكر الدولة صدمة شديدة . فلم تلبث الدولة ان تأخرت وطلبت الفرار . وهمت رجال البلاد ان تلحقها . فمنعهم الامير بشير خوفًا من تورط الرجال في السهل فتثني عليها الخيل. ورجع الامير عباس بعسكره الى البقاع . واقام هناك . وقتل ذلك اليوم من رجال البلاد ستة وقيل سبعة انفار ، ومن عسكر الامير عباس خمسة وثلاثون نفرًا . واقام عسكر الدولة في البقاع مقدار عشرين يوماً . ورحل الى عكا . وقام الامير عباس مع المشايخ بني العماد الى حاصبيا . واهل البلاد كل حي الى حيه . ورجع الامير بشير كما كان وصفت له الولاية .

ثم اجتمع بعض الامراء والمشايخ مع الامير بشير وكتبوا الى المشايخ

العادية ان يتركوا ما هم عليه من الخلاف ويرجعوا الى البلاد . وكتبوا الى الامير عباس كذلك . فابوا ولم يقبلوا . ولكن الشيخ ابو قبلان العماد حضر ومعه البعض من عشيرته . فواجهوا الامير بشير واصطلحوا معه وطيب قلوبهم.

وفي تلك الايام حضر الى دير القمر رجل يقال له شريف آغا وضمن للامير بشير ان يأخذ له رضى الجزار ويخرج له خلعة الولاية بحيث يرسل اليه كتاباً لطيفاً يطلب به رضاه . فاكرمه الامير ، واتحفه بهدايا سنية ، وكتب معه كما اشار . فمضى شريف آغا ، ودخل على أحمد باشا الجزار ، ودفع اليه كتاب الامير بشير ، وسأله الرضى عنه . فاجاب . ووعد باخراج الخلعة ولكن تحت شروط . منها ان يسلمه جرجس باز . ويطرد اولاد الامير يوسف من البلاد. فكتب شريف آغا بذلك الى الامير بشير. فقبل بكل ذلك الا تسليم جرجس باز ، لانه كان قد عاهدهم على الوفاء والنصيحة . وبقي الامير بشير حاكماً في الجبل بغير خاطر الوزير. واولاد الامير يوسف على ولاية جبيل الى ما شاء الله.

وفي هذه السنة حدث الوباء وامتد الى اماكن كثيرة . الا انه لكثرة احتراز الناس منه ، لم يفعل كثيراً لان اعيان كل مكان كانوا يضعون حراساً على الطرق السالكة اليهم لا يدعون احداً يدخل ، الا من وثقوا بسلامته من رائحة الوبأ . وكان اكثر وقوعه في الغرب .

« اسعار السوق »

وفي سنة ١٢١٦ (١٨٠١) كان ثمن كيل الحنطة في ايام البيادر اثني عشر غرشاً . وكانت غلال حوران مخصبة جداً . فكانت القوافل تأتي بالحنطة من هناك لرخصه هناك . ولذلك صار ثمن الكيل هنا ستة غروش الى السبعة كل السنة. وكان ثمن قنطار الزيت مئة وعشرين غرشاً . وقنطار الخمر من الشرين الى الثلاثين غرشاً . ورطل الحرير اربعين غرشاً وقفة الارز ثلاثين غرشاً. ورطل البن خمسة غروش . ورطل لحم الغنم خمسين من الفضة . وقس على ذلك بقية الاسعار .

محمد بك ابو مرق

وقد تقدمنا فاخبرنا عن قدوم يوسف باشا وزير الختام نحو هذه البلاد. فهذا

الوزير كان قد اصحب معه اوامر سلطانية بتقدمة الذخائر لـه بكل مكان يمر به . وكان من ذلك امر لاحمد باشا الجزار . فلم يحفل به ، كما مر . وذلك لانه كان قد انعم على الامير بشير. وكان الوزير قد حشر في البر وحشر له في البحر ذخائر كثيرة الى قبرس وبيروت ويافا وغزة . فالجزار ما اكتفى بعدم التقدمة له ، بل صبر حتى توجـه الوزير الى مصر . وارسل الى بيروت واخذ الذخائر والجبخانات التي كانت له هناك وبلغ الوزير ذلك . فغضب على الجزار واضمر في نفسه انه بعد انقضاء نوبة الافرنج ، يجعل طريقه في الرجوع على عكا وينتقم منه . وكان الجزار قد احتسب لذلك. فارسل هدايا وتقادم كثيرة الى ارباب الدولة العلية. واورد شكايات وسعايات على يوسف باشا. فقبلت هداياه وشكاياه . وخرج امر سلطاني الى يوسف باشا ان يسرع في الحضور الى الباب العالي ولا يمر على عكا ولا يتعرض للجزار بشيء . وكان كذلك . الا انه في مروره على يافا انعم على محمد بك ابي مرق بولاية يافا وغزة والرملة وجبل الخليل ونابلس . واعطاه كل ما كان معه من الجبخانات . واضاف اليه الذخائر والجبخانات التي كانت في قبرس وغزة ويافا وغيرها واطلق عليه لقب الباشا. وابقى عنده جانباً من العسكر . ووعده انه في وصوله الى القسطنطينية ، يمده بالاسعاف على احمد باشا الجزار . وسافر بعد ذلك الى القسطنطينية. وابطل كل مكايد الجزار واظهر خيانته ونفاقه . وارسل الى محمد باشا ابي مرق اربعة مراكب سلطانية مشحونة بالذخائر والجبخانات ، اسعافاً على الجزار . وكان محمد باشا هذا صديقاً للصدر الاعظم وعدواً للجزار من قبل ذلك . لانه كان والياً على مقاطعة في جبل الخليل . وكان له اخ في تلك البلاد . فقتله الجزار ظلماً في طلوع الجردة ، لما كانت في يده ولاية دمشق الشام وامارة الحج. ولما علم محمد باشا بقتل اخيه ، خاف على نفسه. وهرب الى القسطنطينية . وهناك انتمى الى يوسف باشا وزير الختام . واقام في خدمته . فاحبه واكرمه ، لما رأى من رصانته ووفائه . ولما حضر الى الديار المصرية اصحبه معه . وكان من اهل مشورته حتى اراد الانصراف . فانعم عليه كما ذكرنا. واقامه في وجه الجزار. فتسلم يافا بأمر الوزير الاعظم . وشق ذلك على احمد باشا الجزار . فارسل اليه عسكراً ثقيلاً . وحاصره في يافا براً وبحراً . وضايقه شديداً فتضايق محمد

باشا من ذلك وضعف عزمه . وبينما هو كذلك اقبلت عليه مراكب الذخائر من القسطنطينية . فتنفس كربه وصبر على الحصار . وما زال الجزار مقيماً على حصاره مدة طويلة . الى ان ضاق به الامر ورأى نفسه تحت الغلبة . فهرب في الليل اختلاساً وترك العسكر في مكانه . ولما اصبحوا ولم يجدوه ، طلبوا الامان وسلموا المدينة .

وكان الوزير الاعظم لما ارسل المراكب الى محمد باشا ابي مرق ارسل معها اوامر سلطانية الى عبدالله باشا والي دمشق والامير بشير الشهاب في المحاماة عن محمد باشا والاسعاف له . وبها يذكر ان الجزار قد صار مغضوب الدولة . وانه يرتكب الاثم من يحامي عنه . وان العمارة الهمايونية خارجة للانتقام منه في البر والبحر ، وكان في الفرمان الذي حضر للامير بشير تطمين له من قبل الدولة العلية ورضى عنه من لدنها . وكان وصوله في شهر تشرين الثاني فسر به الامير بشير . وامر بالزينة والافراح في جميع البلاد . وكان في ذلك الوقت لم يزل يستعطف الجزار عليه ، ويستميح رضاه ، ويلاطفه . والمشايخ العمادية تسعى في تنكيس اعلامه واقامة هواها على ما سبق الكلام .

الامير سلمان

وفي سنة ١٢١٨ (١٨٠٣) ، كانت المشايخ العمادية لم تفتر من المساعي في البلاد ، كما مر . وما زالوا يكاتبون ويراسلون حتى احدثوا انقساماً في البلاد واميالوا اليهم بعض الامراء والمشايخ . واغروا الامير سلمان ابن الامير سيد احمد ان يعرض نفسه للولاية . فانصاع الى كلامهم . وكتبوا صكاً في انتخابه . وعرضوه على من وافقهم من الامراء والمشايخ . فقبلوه وختموه . ثم ارسلوه الى احمد باشا الجزار . فقبله وسر به . لانه كان يترقب مثل هذا في البلاد ، لكي يأخذ قوماً بقوم ، وينال اربه من الفريقين . وارسل يطلب الامير سلمان ان يحضر اليه . فحضر . وترحب به واحسن ملتقاه . وكان يومئذ لم يفرغ من مهمة يافا . فوعده انه متى فرغ منها ينعم عليه بخلعة البلاد ويرسل معه عسكرًا . فاقام الامير سلمان في عكا ينتظر ما يكون .

وفي تلك الايام نهض ناس من حزب الامير بشير وكتبوا كتاباً الى الجزار .

وكان معناه ان اكثر الناس لا يريدون الامير سلمان لانه لا يليق بالولاية ولا يصلح لها . وان اكثر الذين ختموا صك انتخابه كان ذلك حياء منهم : وانما بنو العماد لهم ارب في ذلك يريدون ان يفسدوا به نظام البلاد. وشيعوا هـذا الكتاب في البلاد وختمه اكثر المناصب . ثم عرضوه على الجزار . فاحتسب من ذلك وتوقف عن تولية الامير سلمان ، لا سيما ان ارباب دولته كانوا ينهونه عن ذلك وكانت مكاتبات الامير بشير لم تزل مترادفة عن يدهم في استعطاف خاطره عليه .

وكان لما بلغ المشايخ العمادية ان الجزار اشهر خاطره عـلى الامير سلمان ووعده بالخلعة ، استأنسوا بذلك وعزموا على مناصبة الامير بشير والشيخ بشير جنبلاط . فجمعوا اليهم رجالهم وكاشفوا بالعـداوة والعصاوة . وارسلوا الى احزابهم ، مثل المشايخ بني تلحوق وبني عبد الملك وغيرهم. ان يتأهبوا للمقاومة . فنبهوا على رجالهم واستعدوا جميعاً . وحينئذ اجتمع الامير بشير والشيخ بشير جنبلاط وجرجس باز وبعض المناصب في دير القمر . وارسلوا علماً الى الامير حسن في كسروان والى امراء المتن وباقي من يثقون بـه من ارباب الكلام واخبروهم بما كان من بني العماد. واستدعوهم للمبادرة اليهم . ثم جمعوا عـسكرًا من الشوف والغرب وتوجهوا لقصاص المشايخ العمادية . فهربوا من امامهم الى الغرب الاعلى . واستغاثوا ببني تلحوق فسار الامير بشير الى ملتقاهم عن طريق الجرد حتى انتهى الى خان الحسين في اطراف الغرب . وكان لما بلغ بني تلحوق قيام الامير بشير من دير القمر مدوا الصوت في عهدتهم حتى اجتمعت الرجال فـروا بها على طريق بيصور. وكانوا يظنون ان العسكر يأتي من تلك الجهة. وكان معهم الامير حسن ابن الامير علي شهاب لان العادة في البلاد ان الفتنة التي يكون فيها امير من بني الشهاب لا تقدر الفتنة الاخرى ان تقاتلهـا ما لم يكن معها امير شهابي ، ولو كان صبياً . ولما علموا بوصول الامـير بشير الى خان الحسين. ارتدوا الى اماكنهم راجعين وانصرفت المشايخ العمادية الى بيدوت واقاموا هناك بمن معهم من رجالهم .

واما الامير بشير فنزل في خان الحسين. وارسل الى عيتات يطلب المشايخ التلاحقة عن يد مقدمهم الشيخ اسماعيل لانه كان من حزبه . فحضروا وواجهوا

الامير بشير في خان الحسين واعتذروا اليه وقدموا له الطاعة والخضوع ، ولكن في الظاهر دون الباطن . فصفا خاطره عليهم ، وطيب قلوبهم . وكان قد اجتمع الى هناك كثير من الامراء والمشايخ والعقال والطوائف. فعقدوا ديواناً ضد المشايخ بني العماد وتحدثوا في ما يؤول الى خير البلاد ورفع المفاسد. وكان في ذلك الديوان شيخ العقل الشيخ احمد امان الدين . فتكلم كلاماً كالخطبة على جمهور الدروز يتضمن النصيحة والتهديد في حسن السلوك ورفع الفتن والخصومات وتأليف القلوب. وفي اثناء ذلك منع وتحريم وتهديد وامثال ذلك. فسلم كل من كان في الديوان واطاع . ودعوا للامير بشير بالنصر والتأييد . ونهض الامير بشير بعد ذلك راجعاً الى دير القمر . ورجع اهل المحفل كل الى مكانه .

وفي تلك الايام كان احمد باشا الجزار قد علم بانحراف رضى الدولة عنه ومسير العساكر اليه . فتلافى خاطر ارباب الدولة بلطافة الكتب وكثرة الهدايا والتقادم . فصفحت الدولة عنه . وانعمت عليه بولاية دمشق الشام وما يليها من حدود غزة الى حمص .

وكان في ذلك العهد رجل من اوفياء اهل طرابلس . يقال له مصطفى بربر قد تمرد في المدينة وجمع له حزباً وتسلم القلعة وعصى على المتسلم . فارسل المتسلم يعلم بذلك عبدالله باشا العظم والي دمشق. فجهز عبدالله باشا عسكراً وسار به الى طرابلس وحاصر مصطفى بربر ولم يعلم بزوال الولاية عنه .

الجزار وولاية دمشق

وكان احمد باشا الجزار لما انعمت عليه الدولة بولاية دمشق ، ارسل من قبله ناساً فتسلموها ونادوا فيها باسمه وقبضوا على اغوات كانوا من حزب عبدالله باشا . فقتل الجزار بعضهم وحبس الآخرين وسلب اموالهم . وكان ذلك بعد خروج عبدالله باشا الى حصار طرابلس . ولما بلغه ما فعل الجزار في دمشق . قام حالاً عن طرابلس وسار يطلب دمشق. فلم يدعوه يدخلها. وتشتت عسكره. فلما رأى ذلك ، هام على وجهه حيث لا يدري توجهه. ولما تم ذلك لاحمد باشا الجزار ايقنت الناس انه سيولي الامير سليمان حكم البلاد ، لانه كان لم يزل

غضبان على الامير بشير . وكان الامير بشير لا يفتر عن الرسائل والوسائل في استعطاف خاطره عليه واستماحة رضاه عنه ، وكان يومئذٍ في صيدا سليمان باشا . فكتب اليه الامير بشير في ذلك. وعرض سليمان باشا كتابه على الجزار وسأل فيه واثنى عليه بكل جميل . وكان في الحضرة الشيخ طاها التركماني . وكان له قبول ومنزلة عند الجزار . والمعلم حاييم اليهودي الذي كان يومئذ صيرفياً عنده وابو ذريعة اغا رئيس المغاربة وغيرهم ممن كان الامير بشير يفتقدهم بالهدايا والهبات. فتكلموا جميعاً في شأنه .وزينوه في عين الجزار واستمالوه اليه. وتساهل معهم ان يكتبوا اليه ان يرسل معتمداً من قبله الى عكا ويسأل الرضى والقبول . فكتبوا وارسل الامير بشير احد المشايخ بني العيد الى عكا. فتلقاه احمد باشا بالقبول . واجلسه اليه . وجعل يذكر له ذنوب الامير بشير . ويقول له : اين الفرنساوية واين القبطان سميث واين يوسف باشا وعبدالله باشا ؟ فقد بددهم سعد الجزار . وضاعت مساعي مولاك واتكاله عليهم . وكان مرجعه الى هنا . ولكنني قد صفحت عن كل ما كان منه . فليكن طيب القلب والخاطر . وان شاء الله لا يرى من هذا الطرف الا كل ما يسره ويرضيه . وكتب اليه جواباً لطيفاً. وكتب اليه ايضاً سليمان باشا ان يرسل التقادم المعتادة ليخرج له خلعة الولاية ، على شرط ان يكون اقليم جزين وقرية برجا في تصريف الوزير. وان جونة كسروان تخرب هدماً ولا يباع منها شيء. وانه يدفع في مدة اربعة اشهر مئة الف غرش ويرتب عليه بعد ذلك في كل شهر خمسة وعشرين الف غرش عن جبل الشوف وعشرة آلاف غرش عن بلاد جبيل. وكان امين هذه الرسالة ، من قبل الامير بشير ، الشيخ يوسف الدحداح. فارسل الشيخ يوسف علم هذه الشروط الى الامير بشير . والامير عرضها على ارباب مشورته ، مثل الشيخ بشير جنبلاط وجرجس باز وغيرهما . فتقرر رأيهم على قبولها . ولبس الامير بشير خلعة الولاية في اوائل شهر تشرين الثاني . ودارت البشائر في جميع البلاد . ثم دارت الحوالات في طلب المال السلطاني مضاعفاً . وصار يجمع الاموال ويدفع الى الجزار. وبعد قليل من الايام اطلق الجزار سبيل الامير ابرهيم ابن الامير حسن ، ثم امرأة جرجس باز وارسلها الى اهلها .

واما المشايخ بنو العماد . فلما بلغهم ارسال التقادم من الامير بشير ، نهضوا

حالاً من ارض بيروت وتوجهوا الى عكا ودفعوا للوزير مبلغاً جزيلاً من المال على ان يولي الامير سلمان ابن الامير سيد احمد فـابى . ورجعوا من عكا خائبـين . ولم يأمنوا ان يدخلوا البلاد . فجعلوا ينتقلون من مكان الى آخر حتى وصلوا الى ارض حوران . وفي تلك البرهة توفي الشيخ ابو قبلان العماد . وكان عمدة العمادية وركن بني يزبك . وتأسفت عليـه الاقارب والاجانب . وحينئذٍ انكسرت شوكة بني العماد فعزموا على الرجوع الى البلاد . وكان قد شاع الخبر بوفاة احمد باشا الجزار كما سيأتي . فتوسط امرهم بعض مناصب البلاد . فقاموا يطلبون البلاد بتلك الوسيلة وقبل وصولهم بلغهم ان اسماعيل باشا تولى مكان الجزار فراسلوه في اصلاح شأنهم . واقاموا ينتظرون الجواب. فاجابهم بما يسرّهم ووعدهم بتقويم اودعهم في البلاد . فاغتروا بوعده . وعدلوا عن الحضور تحت راية الامير بشير . واقاموا الى ان تقضى حـاجتهم . فلم ينجح لهم امن . واضطروا اخيراً الى المراسلة عن يد بعض الوجوه في البلاد حتى رضي عنهم الامير بشير . ورجعوا الى اوطانهم .

وفي هذه السنة ، لما نبت الزرع في اراضي البقـاع ، تولد في الارض فأر وكان كثيراً جداً حتى قيل انه لم يوجد مثله في الازمنة السالفة . لانه كان كالجراد الزحاف . اذا مر بارض لا يترك بها خضرة . فاهلك زروعاً لا تقدير لها . وكان في تلك السنة مطر عظيم في الغاية . فالزرع الذي سُلم من الفار اتلفته كثرة الماء وشدة البرد . ولذلك لم تكن الحنطـة الا مبلغاً يسيراً من عوائدها المألوفة . ومع ذلك ما زال ثمن الكيل اثني عشر غرشاً واقل . لكثرة ورود الغلال من بلاد حوران .

وفي هذه السنة حدثت زلزلة عظيمة في الليل فهدمت جملة اماكن . وكان اكثر قوتها في نواحي المتن . وكان ذلك في سادس عشر حزيران الواقـع في ثامن شهر ربيع الاول .

موت الجزار

وفي سنة ١٢١٩ (١٨٠٤) توفي احمد باشا الجزار في مدينة عكا . وكان ذلك في اليوم الثامن عشر من شهر نيسان الواقع في اليوم الخـامس والعشرين

من شهر محرم. وكان لما شاع خبر مرضه وانقطاع الرجا من سلامته. بلغ ذلك الدولة العليـة . فانعمت على ابراهيم باشا بولاية دمشق الشام وعكا . وكان يومئذٍ في نواحي حلب واتاه الامر ان يحفـظ ذلك سرًّا الى ان تنقضي نوبة الجزار فيشهر نفسه ويضبط متخلفات الجزار الى ان يأتي باش قبطـان مع المراكب والخزنـدار . وكان كذلك حتى توفي الجزار وتحقق امره . فارسل ابراهيم باشا الى دمشق اعلامه وتوجه في اثرها . فدخل المدينة ورتب امورها. وفي اثناء ذلك حضر سليمان باشا من الحج لان الجزار كان قد ارسله نائباً عنه. فلما وصل وعلم بوفاة الجزار وحضور الاوامر السلطانية الى ابراهيم باشا فاتفق معه وكتبا الى عكا فاتاهما الجواب ان اسماعيل باشا تولى مكان الجزار ونادوا باسمه. وكان اسماعيل باشا هذا اولا مع الوزير الاعظم في حرب الافرنج في مصر فظهر منه خيانة في حق الوزير . فانهزم وحضر الى عكا . واقام عند الجزار حتى تولى محمد باشا ابو مرق مدينة يافا وارسل الجزار عسكره الى قتاله كما سبق الشرح . وكان اسماعيل باشا احد قواد العساكر فظهرت منه خيانة ايضاً في حق الوزير . فارسل الجزار قبض عليه وحبسه في عكا . واقام في السجن حتى توفي الجزار . وكان الشيخ طاها التركماني قـد تولى امور الجزار من حينما اشتد مرضه . فهذا لما انفصلت روح الجزار ، قبل ان يظهر خبر موته ، بادر الى السجن بموافقة بعض الوزراء فاخرج اسماعيل باشا وقلـده الوزارة ، ونادى باسمه في المدينة . لكيلا تبقى بلا حاكم فيحدث الاضطراب . وارسل اسماعيل باشا من ساعته المراسيم والاعلام الى المدن والولاة والرعايا يطيب قلوبهم ويعطيهم الامان ويعدهم بكل جميل وارضى القواد والوزراء بكثرة الاموال والعطايا . فاستمالهم اليه . وقبلوا ولايته . ودخلوا تحت طاعته . وفي اثناء ذلك حضر باش قبطان ومعه جملة مراكب لضبط متخلفات الجزار . فـأبى اسماعيل باشا ان يسلمها اليه . وقال اني قد كتبت الى الدولة العلية ، وانا انتظر الجواب . فان اتتني ولاية صيدا سلمت اليك والا فلا .

وكان ابراهيم باشا ، لما حضر الى دمشق ، اصحب فرماناً من الباب العالي الى الامير بشير ان يكون في طاعة ابراهيم باشا . ويكون مؤازرًا له في جميع اموره بكل ما يمكنه . فارسل اليه ابراهيم باشا الفرمان السلطاني مصحوباً

بكتاب منه . فاجاب احسن جواب . وارسل اليه التقادم والهدايا فانعم عليه بخلعة الولاية واتخذه خاصة له . ولما علم بقيام اسماعيل باشا وعزمه على الخروج ارسل يعلم الامير بشير انه يريد المسير اليه . وطلب منه ان يرسل اليه معتمداً من قبله فارسل جرجس باز ومعه جماعة من وجوه البلاد نحو مئة فارس . ولما علم ابراهيم باشا بقدومه ارسل الى ملتقاه اغوات الاوط وبعض اتباعه واعيان البلد وتبعهم جم غفير من اهالي المدينة وجماعة الحجاج واستقبلوه بالطبول والزمور . وكان يوماً من اعظم الايام . ولما دخل جرجس باز على الوزير استقبله بمزيد الاكرام والاجلال الى ما يفوق الحدود المعتادة حتى تعجبت الناس من ذلك وحدثته اعيان المسلمين واكابرهم . واقام عنده الى ان ركب معه الى صيدا وكان ملازماً له في اكثر الاوقات وشريكاً معه في اكثر المهمات . وصرف في تلك السفرة اموالاً جزيلة . وانشأ له وللامير بشير صيتاً عظيماً . وارسل ابراهيم باشا الى باش قبطان يخبره انه سائر الى محاصرة عكا من البر ويطلب اليه ان يقبل بالمراكب عليها ويحاصرها في البحر . فارسل اليه القبطان ينهيه عن ذلك ويقول له ان عكا لا تؤخذ بالقتال . وكان القبطان . لما وصل الى هناك وطلب ان يتسلم تركة الجزار وابى اسماعيل باشا ان يسلمه اياها ، غضب . فاخذ اسماعيل باشا يتلافاه . ووعده ان يدفع له اموالاً كثيرة ان سعى معه في توليته صيدا . وكان يقدم له كل يوم عشرة آلاف غرش لاجل نفقته . فانحرف القبطان ، واتفق مع اسماعيل باشا وقال له : يجب ان نرسل رقعة الى الدولة ونسأل في قضاء حاجتنا ليكون سؤالنا مقبولاً . وفي ذلك الوقت تسلم القبطان من اسماعيل باشا دراهم كثيرة وحلى واسلحة ومتعة تساوي خزائن وارسلها إلى الدولة العلية واصحبها بعرض حال يتضمن استعطاف الخاطر على اسماعيل باشا في تقليده الولاية .

وكان قد حضر مع القبطان ضابط من قبل الدولة يقال له راغب افندي . فهذا الرجل ، اذ لمح ما كان من القبطان ، وعلم انه قد خان مع اسماعيل باشا ، انكر عليه هذه الخيانة ولامه ونهاه ، فلم يحفل بكلامه . فارسل راغب افندي الى ابراهيم باشا يخبره بذلك وسافر من وقته الى القسطنطينية حتى وصل وشكا

الى الدولة العلية ما كان من امر باش قبطان وكيف خامر على مصلحة الدولة مع اسماعيل باشا .

وفي تلك الايام طلبت مشايخ المتاولة من الامير بشير ان ينهض لاسعافهم على استرجاع بلادهم . فاجابهم . وارسل لهم عسكرًا من البلاد . وجمعوا رجالهم ايضاً . ونزلوا جميعًا الى حدود البلاد . وبلغ ذلك عسكر اسماعيل باشا . فاستقبلهم في الحال . وانتشب بينهم الحرب . ولم يكن الا قليل حتى انكسر عسكر المتاولة وتشتتوا في تلك الجبال والاودية . وكان ذلك في اراضي قلعة يونين . ورجع عسكر الامير خائباً . وقتل منه انفار كثيرة . واشتد عزم اسماعيل باشا ، واعتز بقوة رجاله . وكان ابراهيم باشا قد تأهب للحرب وخرج من دمشق الشام في شهر تموز الى خان ميسرون[1] . ومن هناك الى الظهر الاحمر . ثم الى خان حاصبيا . فاقام هناك ثلاثة ايام بسبب الحر الشديد الذي حدث يومئذٍ ، وكان عظيماً جداً حتى قيل انه مات به جانب كثير من خيل الوزير ومواشيه . ثم انتقل الى مرجعيون . وكان مقدار ستة آلاف رجل من عسكر اسماعيل باشا في قلعة هونين وتهيأ يليها . فانهزموا من وجه الوزير الى صور . وكان سليمان باشا مع ابراهيم باشا ايضاً فسبقه نحو صيدا . وكان ابراهيم باشا قبل خروجه من دمشق ، ارسل الى الامير بشير ان يجمع رجاله ويلاقيه الى صيدا . فنادى في اهل الجبل بالسير ودعا اليه مناصب البلاد . وركب بستة آلاف محارب الى جسر صيدا . وكان عسكر الوزير نحو ستة عشر الفاً . ولما بلغ اهالي صيدا قدوم العساكر اليهم خرجت اعيانها فواجهوا سليمان باشا وخلعوا طاعة اسماعيل باشا . ومن الغد وفد الوزير الى صيدا فخرجوا لملتقاه وقدموا له الطاعة والخضوع . فاعطاهم الامان . ودخل معهم الى المدينة ومعه سليمان باشا والشيخ بشير جنبلاط وجرجس باز . وطلب الوزير ان يحضر الامير بشير الى مواجهته فاعتذر . وارسل الوزير الى بيروت فاستدعى القاضي والمفتي وبعض اعيان البلد . فحضروا لديه ومعهم ما يليق به من الهدايا والتقادم . وكان قبل ذلك ارسل لهم متسلماً من الشام فطردوه . ولما حضروا

---

(١) ميسرون . وفي الامير حيدر ميسنون . وهو خان ميسلون على طريق دمشق .

بين يديه اعتذروا عن ذلك وتوسط امرهم جرجس باز . فصفح ابراهيم باشا عن ذنبهم وطيب قلوبهم ورتب عليهم اموالاً مطلوبة . فتعهدوا بها واقام عليهم متسلماً من اهل بلدهم يقال له عبدالله اغا ابو دية . فرجعوا على طاعته . ورفضوا اوامر اسماعيل باشا .

ثم ان الامير بشير صرف العسكر الذي معه ورجع الى دير القمر وتوجه سليمان باشا من صيدا الى صور . وكان بها جماعة من عسكر اسماعيل باشا . فهربوا الى عكا . وكان اسماعيل باشا ما زال على عزمه الى ان حدث انشقاق بين اكابر الوجاقات . فنهضوا على الشيخ طاها التركماني وقتلوه وقتلوا ابنه وبعض اتباعه . واشتعلت نار الفتنة بين الارط والتركمان والسكمان والارناؤوط . واستبشرت الناس بهلاك الشيخ طاها المذكور لانه كان اظلم من الجزار . وكان لما اشتد مرض الجزار تولى جميع اموره . فكان يأمر وينهي كما يلوح له . وهو الذي كان يخترع العذابات المتفننة للمسجونين الذين كان يأمر بحبسهم ظلماً وافتراء . وكان قد وكل بهم اتباعه فكانوا اشد منه قساوة . ولذلك فرحت الناس بهلاكه وهلاك قومه كما فرحوا بهلاك الجزار . لان الرعايا كانوا قد استبشروا بموت الجزار ، الا اهل بيروت المسلمين لانه كان يميل اليهم . وما عداهم كانوا جميعاً يتهللون بموته ويهنئ بعضهم بعضاً في جميع ايالته . ومنهم الفقير الى الله تعالى قد نظمت فيه هذه الابيات[1] :

بشراك يا قلبي الكليم ومهجتي جلاك من بغضاه غاية منيتي
فالموت مكروه . ولكن قد حلا بموت هذا الظالم الباغي العتي
هو احمد الجزار سفاك الدما من مات مرتدياً بازرى لثة
خنع المدائة والنظافة فاكتسى عدلاً من الباري باعظم نقمة

١) لا تعادل فرحة الناس جميعهم بموت الجزار الا بقسوة قلب هذا الطاغية النادر المثال وما قاسوه من عنته الشديد مدة حكمه الطويل . (راجع مقالاً في وصف بعض مظالمه الجواب على اقتراح الاحباب لمخائيل مشاقه) . ولذلك تباشروا بهلاكه وتسابق شعرائهم الى التعبير عن الفرحة الكبرى . وكثيرون ، ومنهم المؤلف ، لم يرتوا بقصيدة واحدة بل اعادوا الكرة مرتين وثلاثاً .

اما شعر المنير هنا فعليه ولا شك مسحة من التنقيح والاغلب انها من قلم الشيخ ناصيف اليازجي — كما هي الحال في النص الحاضر لهذا التاريخ .

كم قد اراق دمًا زكيًا واجتنى مالًا هنيئًا من اهالي النعمة
وكم قضى في ظلمه حتى قضى فقضي عليه باللظى والظلمة
وبحضن شيخ النار صار نعيمه وجهنم الفصوى لـه كالجنة
قولوا معي في نظم تاريخي له لا فاز من رب الانام برحمة

سنة ١٢١٩

وقلت ايضاً في ذلك :

ظهر الجبور فلاح فينا وانتشر وقد اضمحل النم عنا والكدر
فلنحمد الموت الرديّ لانه باقه للجزار احمد قد جزر
لكم البقا يا اهل بيروت، اندبوا فوزيركم ترك الوزارة والوزر
هيهات تبلغكم رسائله ولا اعلامه تأتي الى دير القمر
كان البلاء ثم الغلا ، ثم الجلاء بين الملا في عصره، ثم الحشر
وبموته زال الغشا ثم الضنى وانى الهنا ثم المنى ثم الظفر
ارثي الذي لم يرث طول حياته لكئيب قلب ذاب حزنًا وانفطر
هو احمد الغدار لا الجزار ، والمختار لا المختار في سن الكبر
ساس البلاد وكان سايس خيلها نفرًا يعض بها ويرفس من حضر
قد سرت الاقطار يوم هلاكه وخلت فيه الملائك والبشر
ويلاه كم اذن وكم انف وكم عين وكم كف وكم عنق يتر،
وعزيز قوم ذل منه وشامخ أهوى ودار لم يدع فيها حجر،
وكم خدرة سباها فاتنت خبأه وذي مال بدولته افتقر
وبه الارامل واليتامى اصبحوا عددًا كثيرًا في البلاد له قدر
قالت اناس انه مستخدم روحًا خبيثًا ، قلت قد كذب الخبر
لكنه روح خبيث لابس جسمًا لعينًا قد تكون من وقر
وقد انتدبت فقلت تاريخًا له لما تكردس في جهنم واخدر

سنة ١٢١٩

وكتبت يوم هلاكه تاريخه جزع اللعين وصار في اقصى سقر

سنة ١٢١٩

الجزار الطاغية

واعلم وفقك الله ان الامور التي صدرت من هـذا الانسان الجبار اعني احمد باشا الجزار يقصر عن تعريفها الكلام وتعجز عن تسطيرهـا الاقلام لان الطرق التي سلكها والستور التي هتكها والدماء التي سفكها والارواح التي

اهلكها والمكوس التي ابتدعها والمظالم التي اخترعهـا والعوائد التي قطعها والقبـائل التي طيعها والخزائن التي جمعها والحصون التي حصنها والعساكر التي عينها والحروب التي انشأها والحبوس التي ملأها والكؤوس التي سقاها والنفوس التي افناها والفروس التي اغاها والمياه التي اجراها والعمائر التي بناها والرسوم التي محاها والحال التي اتصل اليها والتحف التي احتوى عليهـا اشياء لا يضبطها حساب ولا يجمعها كتاب . بل اقول اننا ما سمعنا في الاخبار المشهورة ولا قرأنا في الكتب المسطورة عن مثل هذا الانسان في سالف الزمان . فبلا شك انه كان رسول غضب الى هذه البلاد وانتقاماً لشر العباد وكان مشتملاً على طالع سعيد ورأي سديد . ولذلك كان يقهر كل من عصاه وينال كل مـا تمناه . الا انه كان صاحب اخلاق ذميمة وافعال لئيمة . فلم يكن يعبأ بحفظ العهد والميثاق ولا يتعاطى باسر الرحمة والاشفاق . فلم يكن يرثي لتوجع قلب محزون ولا يرق لمظلوم مغبون ولا يبـالي بعذاب الناس وسلب اموالهم ولا بسفك دمائهم ويتم عيالهم معتدًا ما يفعله سبباً لاطـالة حياته ووسيلة لنجاته ومحتسباً الناس كقطعان غنم بعضهـا للذبح وبعضها للاستغنام . وكان لا يحكم بالقتل عن تسجيل شرع كعادة الولاة بل بتصويب رأيه ومقتضى هواه . وكان يقول احياناً ان الله الهـم ليقتل ذلك الانسان واوحى اليه ان يسلب مال فلان وان يقطع انف عمر واذن زيد ويلقي بكرًا بحبس وزيداً بقيد . وكان يحكم على بعضهم بالخنق وعلى الآخرين بالشنق وعلى ناس بالغريق وعلى غيرهم بالحريق وذلك لاجل بعض زلات جزئية واحياناً بغير ذنب بالكلية . وكان دأبـه الاهتمام باقامة العمائر وهدم الأعمار وتحصين عكا بالابراج والاسوار وجمع الاموال من جميع الاقطار . فاحتوى على خزائن لا يحصيها عدد وعـلى تحف لم يحوها احد . وامتدت ولايته من غزة هاشم الى حماه . وبلغ من العمر ما ينوف على الثانين سنة . ولم يبق في نفسه حاجة الا قضاها سوى حاجة واحدة وهي امتلاك قلعة سانور واخذ صاحبها الشيخ يوسف الجرار مع انـه انفق في ذلك اموالاً جزيلة في زمان طويل . — فالعزة لله الواحد القهار .

وقد ذكرنا ان راغب افندي كان قد توجه الى القسطنطينية وقدم الشكاية على باش قبطان . فقبلت شكواه وبرز الامر العالي بان تكون ولاية صيدا

وما يليها على سليمان باشا وان راغب افندي يتولى امور المراكب وتدبيرها والقبطان يرجع الى القسطنطينية ويعطي جواباً عن ذلك الكلام. وعند وصول راغب افندي اشهر الاوامر في ولاية سليمان باشا . فنادوا باسمه . ووافق القبطان على الامر . فسافر من وقته وتولى راغب افندي امور المراكب مكانه .

سليمان باشا العادل

وكان ابراهيم باشا قد قام من صيدا نحو بلاد صفد لكي يتأهب لسفر الحج. وتوجه سليمان باشا نحو عكا واستخلاص بعض اماكن كان اسماعيل باشا واضعاً بها جماعة من عسكره. ووقع القتال بين عسكر سليمان باشا وعسكر اسماعيل باشا. وقتل ناس من الفريقين وانضاف عسكر اسماعيل باشا الى عسكر سليمان باشا وبلغ اسماعيل باشا ذلك فنادى بالعساكر الباقية عنده في المدينة وامرهم بالخروج الى قتال سليمان باشا . فخرجوا ليلاً يريدون ان يغتالوه بغتة . وكان مع سليمان باشا رجل يقال له الملا اسماعيل وكان رئيس اغوات الدالاتية . فاتاه نذير يخبره بخروج العساكر من المدينة وان مرادهم ان يكبسوا عسكر سليمان باشا في الليل . فاعلم الوزير بذلك . وامر الوزير ان تقسم العساكر التي عنده ثلاثة اقسام وارسلهم الى مجاهل في طريق عسكر اسماعيل باشا يكمنون بها: فكمنوا حتى مرت بهم العساكر . فثاروا في وجوههم واهبوهم بضرب النار في ذلك الليل فانذعرت عساكر اسماعيل باشا وانهزمت وقتل منها مقدار اربعمئة نفر . ورجعت الى عكا في اشر حال . ومن الغد نهض سليمان باشا واقام الحصار على عكا في البر وراغب افندي في البحر . وفي اواخر شهر آب تقوى عسكر اسماعيل باشا وخرج لقتال سليمان باشا. فانتشبت بينهم الحرب واحاطت بهم عساكر ابراهيم باشا وسليمان باشا وحالت بينهم وبين المدينة . فظفرت بهم وانكسروا فدخل بعضهم الى المدينة وهرب بعضهم الى البرية . فدخلوا قرية كانت خراباً وتحصنوا بها تلك الليلة الى الصباح وكانوا مقدار الف نفر. واحاط عسكر الوزير بهم في ذلك الليل حتى اصبحوا فخرجت ضباطهم من القرية وترامروا على الوزير وطلبوا منه الامان فعفا عنهم واقاموا عنده جنوداً واغتنم الوزير

اسلاب عسكر المدينة والمدافع والجبخانات التي كانوا تركوها عند الهزيمة . فكانت امدادًا عظيمًا له لكثرتها . واخذ سليمان باشا بعد ذلك يكاتب الاغوات والضباط الذين في عكا ويستميلهم اليه . وكذلك فعل راغب افندي فانثنى عزمهم بذلك ونهضوا على اسماعيل باشا وقالوا له قم فاخرج الى حرب عدوك قبل ان يتقوى عليك بالرجال ويضيق بك السبيل . وكان ابراهيم باشا قد توجه في تجهيز الحج وسليمان باشا قد توجه نحو الناصرة ومعه الكنج يوسف وتكاثرت عنده الرجال واشتد عزمه على الحرب وخرج اسماعيل باشا بعسكره من عكا نحو شفاعمر وكان في قرية الصفورية من عسكر سليمان باشا نحو الف نفر فكبسهم اسماعيل باشا ووقع بينهم القتال وبلغ الخبر سليمان باشا فارسل العساكر لاسعافهم واشتد القتال بين الفريقين فانكسر اسماعيل باشا . وقتل من عسكره مقدار الف نفر . وفر هاربًا نحو شفاعمر. واراد ان يرجع الى عكا . فاتته الخبر ان الاغوات الذين في عكا لا يقبلونه ولا يفتحون له ابواب البلد . فعلم انها كانت حيلة في اخراجه من عكا. ولما رأى خيانة عسكره عليه ضاقت عليه المذاهب. فتنكر ولبس ثياب الدالاتية. وخرج من شفاعمر بزي دالاتي وقصد الديار المصرية. وكان ذلك في شهر شباط الموافق لشهر ذي الحجة . وفي مروره ببعض القرى عرفه شيخ تلك القرية فقبض عليه واعلم به سليمان باشا . فارسل واحضره اليه وارسله مقيدًا الى القسطنطينية . وكان راغب افندي في صيدا . فلما بلغه ما كان حضر الى عكا . وكان سليمان باشا قد حضر واراد ان يدخل الى عكا فلم يقبلوه ايضاً حتى يصرف العسكر الذي معه . وكان مكسورًا عنده للعسكر الذي عنده نحو ستمئة الف غرش . فلم يقدر ان يتخلص منه . فاقام خارج المدينة عدة ايام الى ان خرج لمواجهته المعلم حاييم اليهودي الذي كان متسلماً خزائن الجزار وضابطاً محاصيله فتكفل للعسكر بايراد المال . وارسل منهم ناساً الى المدن والقرى بكتابات منه فتسلموا المال وانصرفوا . ودخل سليمان باشا الى عكا وصنعوا لدخوله زينة عظيمة . وتسلم ولاية احمد باشا الجزار ورتب امورها ومصالحها . وضبط المكاييل والاوزان ونادى بالعدل والامان . وسلك احسن مسلوك مع الرعايا . ومهد الطرق والمسالك. وحصلت الراحة في ايامه والرخا..

واثنت عليه الناس بكل شفة ولسان ومنهم الفقير . فقلت فيه شعرًا:

لهوى الاحبة في الفؤاد مخيم نيرانه بين الجوانح تضرم
روحي تعاني من معاني حبهم علاً . ولي جسم يعل ويسقم
دمعي همى مثل الحمى فوق الدما . فانا بما دون اللمى اترنم
شغلي وشوقي والحديث وحبتي فيهم اليهم ثم عنهم منهم
لا غرو ان تبدي الشكاية ما طوى قلبي . فما في القلب يعلنه الفم
عهدي قديم بالشكاية في الهوى ولعل عهدي بالصبابة اقدم
ومهفهف الاعطاف مهضوم الحشى حق المحبة عنده لا يهضم
ريان كالرمح المثقف فوقه من عينه الزرقاء يسطع لمزم
في خده ورد الجنان ودونه بين الشمنع والدلال جهنم .
يثني معاطفه النسيم وينثني بين الغصون يقول ما لا يعلم .
اصبحت ملسوعاً بعقرب صدغه وبقوس حاجبه رمتني اسهم
وازداد سقمي من سقام جفونه يا حبذا لو ان طبي المبسم .
ملك الفؤاد بامره في امره برضاي لا كرهاً فلا انظلم .
ذلي حلالي والعذاب رأيته عذباً به بعقابه انتعم
تبضيع اوصالي اراه يوصله ربح الصناعة والخسارة توأم
ضاق احتمالي في احتمالي للهوى يا سادتي والصبر عز علقم .
يا من سكنتم في الفؤاد ترفقوا ولكم علينا منة وتكرم
انتم احبتنا الكرام وانما اعدى العدى منكم ارق وارحم
هلا كفى ما قد جرى منكم ومن دمعي وهل يكفي الصدود متيم
لا تسلكوا خرق التعسف واقتفوا آثار مولى مثله من يحلم .
اعني سليمان السلامة من له في امة الاسلام عدل يعلم
من قد غدى بحر الندى ري الصدى ضحج الهدى قهر العدى اذ يعجم
ذاعت مناقب فضله بين الورى ولها حديث في البلاد يترجم
لا اعيب فيه غير فرط سخائه منه الصيارف تشتكي والقيم .
يخشى ويرجى بأسه وعطاؤه يفني ويبقي يستغاث ويغتم .
لا بدع ان اضحى حكيماً حاكماً ان اسمه لكليهما مستلزم
كم حجة الحجاج نحت لوائه اذ كان مقداماً لهم يتقدم
بلغوا الى البيت الحرام برفده زمرًا بضيق بها الحطيم وزمزم
زاروا وداروا آمنين بامنه وبجنبه كل المخاطر عنهم

تخشاه كل قبيلة وعشيرة ويجانبه عربيها والاعجم
ان جال ما بين الرجال تدانت الآجال بالاوجال وهي قدم
تتبدد الكرات من كراته كسرب يلقى الجراد فيهزم
كم قاوم الاقوام قائم سيفه يفري الحديد وحده لا يقلم
يعقد اعداد العدى وعديدهم كالشاة اذ يسطو عليها ضيغم
سل عن وقائعه دعوق تجبك عن اهوال يوم قيل فيه عرعرم
اجرى القتال بها فاجرى من دم فيها سواقي وردهن محرم
والندب اسماعيل امسى نادباً يبكي وفي رجليه قيد ادهم
زالت ولايته فذل وخانه سيف ترجى النصر منه ودرهم
وبذاك ازدجر العصاة وسلموا طوعاً لمولانا السليم ليسلموا
صيدا ابشري عكا افرحي حيفا اطربي والقاطنون بهن فليترغوا
كن يا سليمان الوزير موازراً للخاضعين وجارماً من يجرم
واعظم وسدوارحم وعدوانعم وجد واسلم ودم بسعادة لك تخدم
واقبل مديحي يا كريماً وارتضي مما نظمت من المديح وانظم
واذا انتهى شعري بمدحك مرة ارخت ببدى مدحكم لا يختم .

سنة ١٢١٩

تصفية حسابات الجزار والامير بشير

وفي سنة ١٢٢٠ (١٨٠٥) كان سليمان باشا قد تولى ايالة صيدا ودخل مدينة عكا ورتب امورها بمؤازرة راغب افندي . فوجد في متخلفات الجزار قوائم وسندات على امراء ومشايخ من البلاد بمال جزيل المقدار وذلك من عهد الامير يوسف والامير سيد احمد والشيخ قاسم جنبلاط وغيرهم . ولاجل ذلك كان قد ابقى عنده الامير سليم ابن الامير يوسف والامير قاسم ابن الامير بشير بمنزلة رهن . وفي هذا الوقت ارسل الامير بشير يطلب من سليمان باشا وراغب افندي خلعة الولاية واطلاق ابنه وابن عمه وارسال حجج مرجيون واقليم جزين وقرية برجا لان هذه الاماكن كان الجزار قد سلبها منه قهراً . فحضر الجواب ان اطلاق الاولاد لا يمكن ان يكون الا بعد وفاء السندات المذكورة لانها صارت في تعريف والي صيدا بموجب الحجج الموجودة في خزائن الجزار . وراجع

الامير بشير في ذلك بكتابات لطيفة وبرهن ان السندات والحجج هي ظالمة لكونها بالرغم والغلبة . والتمس اصطناع طريقة لذلك بحسب احتمال الحال . فقبل سؤاله وكتب سليمان باشا وراغب افندي الى الدولة العلية في ذلك . واتى الجواب بالايجاب . واخيراً انتهى الامر بان الامير بشير يدفع الفين الف غرش نصفها في تلك السنة والباقي يقسط كل سنة مئة الف غرش . واسترجع الحجج والسندات . وترتب المال السلطاني على عوائده البالغة كل سنة مئة الف غرش ايضاً . وارسل الامير بشير دفعة من المال والتقادم المعتادة . فحضرت له خلعة الولاية ومعها ابنه وابن الامير يوسف . غير ان سليمان باشا ابقى بيده مرجميون لأن الجزار كان واضعاً يده عليها من زمان طويل . ولما اضطر الامير بشير الى ايراد المال المنقود الى سليمان باشا لم يكن في يده يومئذٍ ما يكفي المطلوب فاقترض من بني عمه الحرير الذي نتج لهم تلك السنة وبعد مدة وجيزة رُدّ لهم اياه ولم يذهب لهم شيء منه . وبعد ذلك وزع الاموال السلطانية مضاعفة . ثم وزع مطلوباً على البلاد كل قرية على مقدار اهلها وتضايقت الناس من ذلك . وجمع هذا المطلوب من الشوف والمرقوب والجرد والغرب . ولما انتهى من هذه المقاطعات ارسل الحوالات الى المتن وكان الطلب من اهلها برفق دون غيرها من بقية المقاطعات . فانكروا عليه ذلك وطردوا حوالاته وقالوا انهم لا يدفعون سوى المال السلطاني فقط . وكان هؤلاء القوم قد تمردوا وطغوا الى غاية ما يكون وتعدوا حقوق الولاة والرعايا . ورأى الامير بشير انه لا يمكنه الانتصاف منهم فاستحضر عسكراً من رجال الدولة وجمع عسكراً من الشوف والغرب ونهض نحو المتن . ولما وصل الى اوائل المتن لاقته الامراء وسألته ان لا يدع العسكر الغريب يدخل الى المتن بل عسكر البلاد فقط . فاجابهم وصرف عسكر الدولة بشرط ان يسعفوه على قصاص طوائف المتن الذين بدت منهم العصاوة وان لا يعترضوه في ما يفعل بهم . فعاهدوه على ذلك . وكانوا يرغبون اهانة الطوائف وخفض كبريائهم لكثرة قباحتهم وتمردهم لان الطوائف المذكورين كانوا قد تناهوا في التمرد والطغيان حتى لم يسلم احد من شرهم . وكانوا لا يبالون بأحد ولا يظنون ان احداً يجسر عليهم حتى الحاكم . وكانوا قد تفرقوا في المقاطعات وانتشرت منهم رجال في البقاع . فكانوا يرتكبون الفواحش

ويظلمون الناس . حتى ان امرأة عمشا من بني القنطار كانت تسطو على الرجال في قرى البقاع وتنهب البيوت ولا يجسر احد على ردها . فضرب بها المثل الى الآن . ولما دخل الامير بشير الى المتن وعاهد امراءها على قصاصهم ارسل ابن عمه الامير بشير ابن الامير قاسم ومعه نحو ثلاثمئة نفر من مشايخ البلاد واعيانها الى البقاع وامره ان يقبض على من يجده منهم وينهب ما يقع في يده من اموالهم وغلالهم . فقبض على اربعة انفار من بني القنطار وبني حاطوم وهرب الباقي منهم . والقى الضبط على غلاتهم ومواشيهم .

وكان الامير بشير لما ارسل ابن عمه المذكور الى البقاع ارسل الشيخ حسن جنبلاط الى كفرسلوان . فكبس القرية . وانهزمت رجالها . وارسل في اثره ابن عمه الامير حيدر وامره باجرا القصاص الصارم على القرية . فلما وصل الى القرية رأى بيوتها مملوءة بالاثاث والامتعة والغلات . فامر اصحابه بنقل تلك الغلات والاسباب الى خارج البيوت واضرم النار فيها واخذ يقطع الاشجار التي هناك ولكن مما يخص الطوائف فقط . واما غيرهم من اهل القرية وان لم يقع عليهم القصاص فلم يسلموا من النهب . ثم توجه الامير حيدر والشيخ حسن بن معهما الى المتين وكان ذلك بمطابقة الامير منصور مراد ففعلوا بها كما فعلوا في كفرسلوان . واقام الامير بشير في حمانا وارسل الى الامير بشير ابن الامير قاسم ان يقيم في وجه البقاع ويرسل الغلات التي تخص الطوائف الى حمانا ودير القمر . فارسلها وكانت جانباً عظيماً جدًا . وحينئذٍ نهضت مشايخ العقال وذهب منهم ناس الى دار الامير بشير في بتدين . وناس الى دار الشيخ بشير جنبلاط في المختارة وآخرون الى حمانا يتراءون على الامير بشير بانفسهم وبالوسائط الاخرى في رفع القصاص عن الطوائف وتكفلوا له بان الجميع يكونون خاضعين له طائعين لامره . فقبل سؤالهم وامر برفع القصاص . وحينئذٍ وزع على جميع قرى المتن نفقة عسكر . ثم وزع مطلوباً آخر باسرة البلاد . فكان ذلك اضافاً عن المطلوب الاول الذي لم يرتضوا به . وارسل الحوالات الى جميع القرى واردفها بالاستعجالات ثم وزع ايضاً مطلوباً آخر خصصه بالاغنياء المشاهير منهم . وارسل كتباً الى حدود دمشق الشام وطرابلس ان لا احد يقبل عنده درزياً ابن طائفة على اي وجه كان . وبعد ذلك رجع الى دير القمر . وارسل

الى زحلة مباشراً من اعيان البلاد يدبر امورها ولا يدع احداً من الطوائف ينزل بها . واستراحت الناس من ظلم الطوائف وجورهم . وتبددت رجال الطوائف في كل قطر الى مدة من الزمان حتى خمد غضب الامير بشير. فصاروا يتراجعون الى البلاد ولكن بمذلة وهوان .

وفي سنة ١٢٣١ (١٨١٦) في رابع شهر آذار حدث ريح شديدة في الغاية فاتلفت اغراساً وابنية كثيرة . وكان مهبها من جهة المشرق واقامت مقدار خمس عشرة ساعة وزعمت المشايخ انه لم يحدث مثلها في زمانهم .

وفي هذه السنة توفي الامير فارس قايدبيه في زوق مكائيل وحملوه الى منزله في قرية صليبا ودفنوه هناك . وكان سيد فريق بني قايدبيه . ولم يكن له ولد ذكر .

الشيخ سقر المحفوظ

وفي هذه السنة حدثت فتنة بين اهل القدموس واهل صافيتا . وكان المتقدم في بلاد صافيتا الشيخ سقر المحفوظ وكان شجاعاً باسلاً وكانت عشيرته من اهله مقدار ستين فارساً ومن اهل بلاده مقدار الف وخمسمئة رجل من اشداء الرجال . وكانت ولاة القدموس تهابه وتخاف من قتاله . فاستنجدوا حكام بلاد عكار[1] فاجابوهم ونهضوا جميعهم عليه . ووقع القتال بينهم فظفر بهم واستظهر عليهم . فاستغاثوا بمصطفى آغا برير والي طرابلس . فارسل مصطفى آغا يتهدده ويكفه عن قتال اهل القدموس ويأمره بمصالحتهم . فلم يحفل بكلامه . ولم يزل قائماً عليهم . فارسل مصطفى آغا الى جبيل واستدعى عبد الاحد باز . فارسل عبد الاحد الى الشيخ سقر يدعوه الى الصلح وينهيه عن القتال فلم يجبه . ولما رأى مصطفى آغا ذلك كتب الى سليمان باشا والي صيدا وسأله ان يمده بعسكر من رجال دولته . فاجابه الى ذلك . وحضر العسكر الى جبيل . واجتمعت الرجال على الشيخ سقر من عكا وجبيل والبترون

١) وفي الامير حيدر ان سبب هذه الحركة ليس خلاف سقر مع اهل القدموس بل «خروجه عن الاطاعة وعصيانه في اموال المبرية».

وطرابلس والقويطع والكورة والجبة والزاوية والضنية وعكار وبعلبك. وكان قائد هذه العساكر جرجس باز فسار بهم حتى قارب بلاد صافيتا . فقسمهم احزاباً . وامر ان لا يختلط منهم اهل مقاطعة باخرى وان يتقدم للحرب كل سيد عشيرته بقومه . ولما حلت العساكر في تلك الاطراف اخذوا ينهبون بعض القرى . وبلغ الشيخ سقر اقبال تلك العساكر اليه. فارسل الى جرجس باز يقول له ان ينزل عن الحرب برجال بلاده فقط . ويدع الباقين جميعهم يتقدمون الى حربه ويرى ما سيكون وتعهد له ان اجاب سؤاله بدفع جانب عظيم من المال ويكون ممنوناً له طول زمانه . فاجابه جرجس باز انه لا يمكنه ذلك. ولكن اذا اراد المصالحة فيكون اكبر واسطة لها . فاضطر الشيخ سقر الى القيام من تلك البلاد . وترك ما كان عليه . ثم حضر اخوه وابنه يتزاميان على جرجس باز ويعتذران اليه وتعهدا له بايراد مال واقاما عنده رهناً على وصول المال. فصرف العساكر واخذهما معه وانصرف الى طرابلس . فاقام اياماً هناك واتصلت المكاتبات بينه وبين الشيخ سقر المحفوظ ودفع اليه الشيخ سقر شيئاً من المال وترك له الباقي واطلق له اخاه وابنه وعقد معه شروط الصلح بينه وبين اصحاب القدموس . واطمأن كل فريق في مكانه .

وفي هذه السنة اراد الامير بشير ابن الامير حسين مراد صاحب قرنايل ان يجدد بناء الخان المنسوب الى جده الامير مراد في ارض بيروت الذي كان الجزار امر بهدمه لما تولى مدينة بيروت في اول امره وبعد ان شرع الامير بشير في ذلك واقام جانباً من الحيطان نهض ضده الامير سلمان ابن الامير سيد احمد الشهاب ليمنعه عن ذلك بدعواه انه اذا قام هذا الخان يعطل الحوانيت التي له هناك . وارسل ناساً فهدموا ما كان قد جدده من بنائه . فلما علم الامير بشير مراد بذلك ارسل اتباعه فاحرقوا حوانيت الامير سلمان التي هناك . وكان الامير سلمان يومئذٍ في مدينة جبيل . وبلغه ما فعل الامير بشير فعظُم عليه واعتده اهانة له ولجميع بني الشهاب لان العادة لم تسبق بمثل ذلك عليهم . ونهض لمخاصمة الامير بشير . واستعد لاتلاف كل ما يملك . وكتب الى الامير بشير الشهاب يطلبه بذلك وبما عزم عليه . فلم يأذن له بذلك ووعده باجراء القصاص من يده على الامير بشير المذكور . وبعد مدة وجيزة ارسل الامير بشير فقطع له اغراساً

كثيرة واحرق له بيوتاً وحوانيت والزمه ان يدفع للامير سلمان ما تحطل عليه .

فتنة الشويفات

وفي تلك الايام توفي الامير موسى ابن الامير منصور الشهاب في وادي الضباع بالقرب من حدث بيروت . فاجتمعت اولاد عمه واقاموا له مناحة حسب العادة . وكانوا مقدار خمسة عشر اميراً. وبينما هم كذلك اقبلت الامراء بنو رسلان من الشويفات وهم الامير يونس والامير عباس وابنه الامير منصور ومعهم اهالي الشويفات من الدروز والنصارى. ولما وصلوا اراد اهل الشويفات ان يتسلموا النعش حسب العادة . فاعترضهم اهالي الحدث وبعبدا . فتنازعوا على ذلك ثم تشاجروا . ثم تضاربوا . فجرد بعض الامراء الشهابيين سيوفهم ودخلوا بين القوم يكفونهم عن القتال . فلم تحترمهم اهالي الشويفات وامراؤها وقاموا في وجوههم وقاتلوهم على غير هيبة ودام القتال بينهم مقدار ساعتين . فجرح كثيرون من الرعايا وبعض من الامراء الشهابيين من ضرب الحجارة والمصادمة وانكفت اهالي الشويفات بعد ذلك حتى صاروا بعيداً عن المعركة. فاتفق ان الامير حسن ابن الامير علي الشهاب كان قادماً الى المناحة ومعه رجال قلائل. فصادف مروره في ذلك الطريق رجوع الامراء بني رسلان واهل الشويفات من هناك . فوقع القتال بينهم وبينه مرة ثانية . وكان ذلك من امرأة الامير عباس رسلان الذي كان قد علم بما كان منهم . فخاض بينهم في الطريق مستبيناً بهم ولكن لم يتعرض لهم بشيء . ولما رأت ذلك امرت اصحابها ان يتعرضوا له بالقتال . وكان كذلك . فجرحوا انفاراً من اصحابه وجاز في طريقه الى وادي الضباع حتى دفنوا المتوفي . فعقدوا ديواناً وتداولوا في امرهم واستعظموا ذلك جداً جداً . لانه من حين دخول بني الشهاب الى هذه البلاد لم ترتفع عليهم يد ولم يقم في وجههم احد الى ذلك الوقت. وحينئذ اتفقوا وتعاهدوا على ان يكونوا يداً واحدة برأي واحد في الانتقام من بني رسلان واهل الشويفات وكتبوا الى بقية اولاد عمهم الذين لم يحضروا ذلك اليوم واتفقوا جميعهم على ذلك وعرضوا على الامير بشير . وصار الاتفاق مع الجميع على طرد بني رسلان من جميع البلاد واحراق الشويفات وهدمها وقتل

كل من رفع يده بالضرب . ولما علم بنو رسلان بذلك احتسبوا منه وارسلوا فاخبروا الشيخ بشير جنبلاط بذلك واستغاثوا به فارسل اليهم ان يبرحوا من البلاد الى ان يسكن غضب الامير بشير والامراء فذهب البعض منهم وتراموا على الامير حسن اخي الامير بشير في غزير فلم يقبلهم . فمضوا الى جبيل وتراموا على اولاد الامير يوسف فلم يقبلوهم ايضاً . ومضت امرأة الامير عباس رسلان الى دار الامير بشير وترامت على حريمه فأمر بطردها . فمضت الى دار الشيخ بشير في المختارة . فتظاهر انه لا يقبلها . واخذ الشيخ بشير من ذلك الوقت يسعى في امر الصلح واستمان بجرجس باز واخيراً تم الامر ان الامير بشير ارسل بعض المشايخ النكدية فاحرقوا دار الامير عباس رسلان في الشويفات وبعض بيوت الرعايا ممن كانوا في الموقعة . وفي اثنا ذلك حضر الشيخ بشير جنبلاط وجرجس باز الى الغرب واخذا في تلافي خواطر الامراء . وكان الامير بشير قد تنازل معهما الى الموافقة كرهاً . وكان الخصم الاكبر لبني رسلان الامير حسن ابن الامير علي . فهذا ارضوا خاطره بان اعطوه مكاناً في ارض البقاع . وكان في ذلك الوقت وُلد له غلام فحضر الشيخ بشير الى داره ونقط المولود بخمسمئة غرش واكرم الخدم بمئة غرش ايضاً . فقبل الامير حسن بذلك مراعاة للوقت . لان الشيخ بشير كان له شوكة عظيمة في البلاد . وكان الامير بشير ايضاً تحت الغلبة معه . وكذلك اعطوا الامير سلمان سيد احمد الزيتون الذي كانوا اخذوه منه قبلاً حين انطغى مع بني العماد وعلى هذا النحو طفق الشيخ بشير وجرجس باز يتلافيان خواطر الامراء . واخذت الحركة في السكون رويداً رويداً . ورجعت الامراء بنو رسلان الى البلاد . وواجهوا الامير بشير وطيب قلوبهم . ورجعوا الى اماكنهم . ومضى على ذلك مدة وجيزة . فاتفق الشيخ بشير وجرجس باز وتكلما مع الامير بشير في استرجاع الزيتون من الامير سلمان واسترجعاه قبل ان يشهر تلك السنة .

وكان الامير قاسم عم الامير سلمان مقيماً في الشويفات في دار كان قد اشتراها من بني رسلان . فادعى عليه الامير عباس رسلان بها . واسفه الشيخ بشير جنبلاط . فاخرج له امراً من الامير بشير في استرجاعها له وارجاع ثمنها كما كان . فأبى الامير قاسم ودافع وماتع . فلم يظفر بطائل وطلب ان

تؤخذ منه بحسب تقويمها ذلك الوقت فلم يمكن . واخيرًا دفعوا له ثمنها كما دفعه لهم وخرج منها برغم انفه . وقيل ان جميع هذه الحركات كانت بتدبير الاميرة حبوس زوجة الامير عباس رسلان لانها كانت ذات عقل ثاقب وهمة شديدة . وكان بينها وبين الشيخ بشير صداقة عظيمة . وكان الرأي لها في جميع مهمات بني رسلان . وكانت الناس تدعوها الامير حبوس لما عندها من الكمال الذي فاقت به على كثير من الرجال .

وفي سنة ١٢٢٢ (١٨٠٧) كان قد تظاهر قبل ذلك رجل خارجي من بلاد الحجاز يقال له عبدالله بن سعود الوهاب . وكان ، فيما يقال ، لا يعتقد الا بالله فقط . وكان ينكر جميع الاديان والمذاهب والكتب والانبياء والشرائع والرسوم الدينية ويسير بموجب الناموس الطبيعي لا غير . وكان قد اوتي توفيقًا عظيمًا . فارتفع شأنه وعظم امره وانضم اليه كثير من العربان وصار في موكب عظيم . فلما كانت هذه السنة اعترض الحجاج في طريق مكة . فاوقع بهم ورجعوا من نصف الطريق . وتعطل الحج في تلك السنة[1] .

وفي هذه السنة وقع الاختلاف بين الدولة العثمانية ودولة المسكوب

---

١) يقال المؤلف في تكفير ابن سعود والوهابيين . وقد كان الامير حيدر اقرب الى الواقع حين قال (١٢١٧ ص٣٧٠) :

وكانت شريعته ان لا يعبد الا الله وحده . ولا فيه نبي ولا ولي . ولا شفيع غير الله وحده . وكل من لا يقيم ويعتقد به يقتله . فخافت منه الناس ونبعته خوفًا منه وورد كرمه . ولم يبقَ في بر الحجاز احد الا ووهب » .

اما مبادئ الوهابية ، كما لخصها المستشرق مرغليوث في دائرة المعارف الاسلامية ، فهي :

١ : كل عبادة لغير الله باطلة . وكل من عبد الاولياء والصور يستحق الموت .

٢ : اكثر الناس مشركون لالتجائهم لدى الله الى وساطة الاولياء .

٣ : كل من ادخل في صلاته اسم ولي او نبي او ملاك فهو مشرك . وكل من اتخذ وسيط خير غير الله فهو مشرك .

٤ : كل من قدم نذرًا لمكان غير الله فهو مشرك .

٥ : كل من اعترف بغير ما في القرآن والسنة فهو كافر .

٦ : ومن انكر القدر في اعمال البشر فهو ملحد .

٧ : ومن التجأ الى التأويل في تفسير القرآن فهو كافر .

ويلي ذلك منع المدارس المعارجية كبناء المآذن وتزيين الجوامع واستعمال المسابح والتدخين واحفاء اللحى واكل الشاكل .

والانكليز . وتملكت الانكليز مدينة الاسكندرية واحتسب الناس من عاقبة ذلك الامر .

وكان في تلك الايام لم يزل غضب الامير بشير متحركاً على المشايخ اليزبكية . وكانوا يترقبون الفرصة لاقامة حركة في البلاد. فطلب منهم الامير بشير مبلغاً من المال وارسل لهم حوالات واردفها باستعجالات وكانت الحوالات تنوف عن سبعين نفراً في دور المشايخ بني تلحوق وبني عبد الملك . ولم يكن في ايديهم ما يدفعون حتى ولا ما يقدمون نفقات للحوالية . فتقدموا بالسؤال الى الامير بشير ان يترفق بهم فمنعه الشيخ بشير جنبلاط وجرجس باز . ولم يكن الامير بشير يقدر ان يمضي حكماً ولا يقضي امراً الا برأيهما ورضاهما. ولما ضاقت عليهم المذاهب استعانوا بالامير حسن اخي الامير بشير ونزلوا عليه في داره ان يتوسط امرهم . وكان بين الامير حسن وجرجس باز مضاغنة خفية ولم يكن الامير حسن يستطيع المكاشفة له بالعداوة لان جرجس باز كان قد تناهى في الصولة والدولة وصار معلوم الدولة والوزرا. حتى انه لم يظفر ببعض ما ناله احد من امثاله . وكان زمام تدبير اولاد الامير يوسف في يده . وكان الشيخ بشير صديقاً له. فكان له غلبة في البلاد حتى على الامير بشير الحاكم . ولذلك كان الامير حسن يداريه ويظهر له الصداقة رغماً وان كان يضمر له كل عداوة .

وكان الامير حسن في العام الماضي اراد ان يقوم خراج املاك بني الخازن في كسروان وبمشورة اخيه الامير بشير وبدون رأي جرجس باز استدعى المقومين ومشاهم على تلك الاراضي . فمشوا على اكثرها . وكان ذلك رغماً على بني الخازن لانه مضر لهم . فقام بعض المشايخ الخوازنة والتجأ الى جرجس باز ودفعوا له خمسين الف غرش تحت رفع هذه النائبة عنهم لان املاكهم ، من ايام بني معن ، كان قد صدر عليهم الانعام بالعفو عنها فمال الى سؤالهم ونهض لاغاثتهم . فابطل الخراج . واشيا. كثيرة كان يفعلها جرجس باز ضد الامير بشير واخيه الامير حسن . ولذلك كان كل منهما يترقب الفرصة لاشتفا. قلبه

منه[1] . فلما نقلت الحوالات على بني تلحوق وبني عبد الملك وضايقوا عليهم التجأ الشيخ علي تلحوق وبعض المشايخ الملكية الى الامير حسن . فصار له سبيل على جرجس باز فاخذ يوضح للمشايخ المذكورين ما في نفسه وان الحوالات التي عليهم وجميع الحوادث التي نزلت بهم ليست برضى اخيه الامير بشير . وانما هي من اعمال جرجس باز وتدابيره[2] .

١) كثيرًا ما اشار المؤلف الى استبداد جرجس باز واستقلاله في سياسة البلاد . وكذلك فعل سائر المؤرخين . بل ان الامير حيدر كان لا يستطيع ضبط اله منه ونفسه عليه . الا ان المنير لم يذكر هنا كيف دبر الامير بشير واخوه الامير حسن الحيلة لقتل جرجس باز واخيه عبد الاحد . كما فعل الامير حيدر ص١٤ .

٢) نقف المخطوطة من حوادث التاريخ عند هذا الحد . مع اننا نعرف ان المؤلف القس حنانيا المنير قد عاش الى ما بعد سنة ١٨٣٣ اذ الذي منعه من متابعة الحوادث سواء في هذا التاريخ او في « تاريخ الرهبنة »؟ ذلك ما لا نستطيع البت فيه الآن . ولعل الايام تطلعنا على النسخة الاصلية للكتاب فنعرف ما فاتنا معرفته .